

الحلقة الثانية

صَوْنُ الْكُنُوزِ

من خطب يوم الجمعة الأغر

تأليف

الشيخ سعيد محمد البراك

بسم الله الرحمن الرحيم



الحلقة الثانية

صوت المنبر

من خطب يوم الجمعة الأغرّ

تأليف الشيخ سعيد محمد إبراهيم (كعباش)

نشر جمعية النهضة - بلدية العطف
ولاية غرداية الجزائر



الإهداء

إلى أرواح أولئك الرجال الربانيين عُمّار بيت
الله أعضاء حلقة العزابة بمدينة العطف ، من
إخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، واختاروا أن
يكونوا من عباد الرحمن ، سائرين على نهج الله
ورسوله هداة مهتدين ، حماة للفضيلة والدين .
وقد صدقوا ما عاهدوا الله عليه حتى أتاهم
اليقين . إلى أرواحهم الطاهرة الزكية أهدي
هذا الكتاب .

— المؤلف —

المؤلف في سطور

هو الشيخ سعيد محمد إبراهيم - كعباش - من مواليد مدينة العطف ولاية غرداية خلال سنة 1930 .

حفظ القرآن وتلقى مبادئ اللغة العربية والفرنسية في بلده ، عمل أجيرا بسيطا لمدة خمس سنوات في شمال البلاد .

التحق بمعهد القرارة - الحياة - سنة 1945 فاستظهر القرآن وأنهى دراسته الثانوية لمدة خمس سنوات .

انتقل إلى تونس سنة 1950 فتابع دراسته العالية بجامع الزيتونة في علوم الشريعة وبالمعهد الخلدوني في العلوم التطبيقية .

عاد إلى وطنه الجزائر في أواخر 1954 ليأرس مهنة التعليم في مدرسة النهضة ببلدية العطف ، ولاية غرداية .

بعد الإستقلال الوطني 1962 التحق بالتعليم العمومي أستاذا في المتوسط والثانوي ، ثم مديرا للمدرسة الأساسية ببني يزقن والعطف .

حصل على شهادة « الليسانس » في الأدب العربي من جامعة الجزائر سنة 1972 .

أنهى مسيرته المهنية سنة 1990 .

التحق بحلقة العزابة لمدينة العطف سنة 1958 ثم عيّن مرشدا وإماما للجمعة سنة 1971 .

وهو ما يزال يواصل مهمته الإرشادية في الدعوة إلى الله بصدق وأمانة . وهو أب لتسعة أولاد . وفقه الله تعالى إلى خير البلاد والعباد .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الحلقة الثانية

الحمد لله مدبّر الأمور وميسر الأسباب ، القائل في محكم كتابه الكريم : ﴿ إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴾ آل عمران الآية 190 . نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلّم عليه وعلى الآل والأصحاب . وبعد :

فيا أيها المسلم الغيور ، ويا أيها القارئ الكريم هاأنا ذا أعود إليك - والعود أحمد - لأقدّم إليك المجموعة الثانية من خطب « صوت المنبر » لصلوات الجمع في المسجد الجامع بمدينة العطف من ولاية غرداية . صغتُها بمهجة القلب وحشاشة الروح المتألقة بنور ربها على درج المنبر أو في قبة المحراب تواجدا وخشوعا ، أستنزل الرحمات وألحّ في الدعوات أن يجمع الله شتات المسلمين ويوحّد صفوفهم ، ويلهمهم رشدهم ، ويجمع كلمتهم على الحق المبين ، وينصرهم على أعدائهم بالعزة التكين . ومرة أخرى أنسّق لك - أيها القارئ الكريم - هذه الباقية الطيبة من رياض القراءان الكريم والسنة النبوية الشريفة ، زهورا يتصوّع أريجها روحا وريحانا يشرح الله به صدرك للإيمان والتقوى ، ويقوّي عزيمتك في الثبات على طريق الله والصعود إلى منازل القربى ، والله أسأل أن يمدّي في حبل الأجل ، ويوفّقني إلى خير العمل لأقدّم إليك المجموعة الثالثة - بحول الله - إنه تعالى نعم المولى ونعم النصير .

العطف يوم الجمعة 27 محرم 1417 هـ 14 جوان 1996 م

المؤلف : سعيد محمد إبراهيم (كعباش)

الطفل بين البيت والمدرسة

الدخول المدرسي 24 ربيع الأول 1414 هـ 11 سبتمبر 1993 م

بعد الدخول بأسبوع .

حمدا لله الذي خلقنا أطوارا ، وجعل حياتنا سننا وأقدارا ، نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله القائل : « كل مولود يولد على الفطرة ، وأبواه يمجسانه أو يهودانه أو ينصرانه » ⁽¹⁾ ﷺ وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد : فيأيتها الإخوة المؤمنون :

إن أولادنا قد استقرّوا - بحمد الله - على مقاعد الدراسة ، واحتضنتهم المؤسسات التربوية بعطف وحنان بعدما ضجّت بهم الشوارع والساحات ، وضائق بهم البيوت وهم لا ينفكّون عن المشاكسات . ولكن ماذا بعد ذلك ؟؟ .
أعتقد أننا بذلك قد أدّينا حقهم علينا إذ استودعناهم أيديا أمينة ، وآويناهم ملاذات حصينة ؟؟ - كلا - أيها الإخوة : فإن المدرسة مهما تبلغ من الكفاية والقدرة في التربية والتعليم ، فهاهي إلا جزء مكمل للعملية التربوية ، التي تبدأ في أحضان البيت منذ المراحل المبكرة لنشأة الطفل . بل الحكماء والمربّون يذهبون إلى أبعد من ذلك حين يقرّون أن حقوق الطفل تبدأ باختيار منبته من الزوجة الصالحة ذات المحتد الأصيل والشرف الأثيل . وهم في ذلك يثبتون علميا ماوصّى به الرسول ﷺ حين قال للأزواج ، « تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس » ⁽²⁾ .

لقد تحدث أساطين التربية كثيرا عن دور الأسرة ودور الوالدين بصفة خاصة في تربية الطفل وتوازنه جسميا ونفسيا وخلقيا ، ووضعوا لذلك قواعد وسلوكات

(1) رواه الطبراني والبيهقي .

(2) رواه ابن ماجه والديلمي

يجب أن يلتزم بها الوالدان ، وهم يقومون بمهمتهم المضنية في رعاية أطفالهم وتنشئتهم النشأة الصالحة القوية . وهؤلاء العلماء يستمدون آراءهم من مختلف العلوم الطبية والنفسية والإنسانية والاجتماعية ، حتى بلغوا في ذلك شأوا بعيدا أفادت منه الدول المتقدمة في تطوير أساليبها التربوية والبيداغوجية ، ونحن مانزال نعانى من التناقضات التي زاد من حدتها الإضطراب السياسي والاجتماعي والإقتصادي الذي تعيشه بلادنا ، نرجو الله تعالى أن يوفق ذوي الألباب إلى سبل الانقاذ والخلاص . وهذا رسول الله يرشدنا إلى تلك الحقيقة العلمية حين حصر مسؤولية التربية في الوالدين ، سيما في الجانب الإعتقادي والسلوكي ، وهما ملاك الأمر كله في حياة الإنسان تقوى وصلاحا ، أو فجورا وفسادا .

فإذا كان البيت هو الخلية الأولى للمجتمع ، وهو الرافد الذي يصب في هذا النهر العظيم ، فإنه على قدر إمداد ذلك الرافد ونوعيته ، يتدفق النهر بالمياه النقية الطاهرة لينبت الخير ويضمن الرفاه والإزدهار ، وإن نحن تركناه للعفونات والقاذورات فسينشر الموت والدمار .

وقد تفتّطن البشر منذ حضاراتهم الأولى إلى هذه الحقيقة الاجتماعية في طبيعة العمران البشري ، بل حتى في البداوات الأولى من حياة الإنسان ، لم تتخلف هذه القاعدة في تأطير الولد من طرف رَهْطه وقبيله في كل الظروف والأحوال . فكيف يليق بنا - ونحن في عصر الإمكانيات والتكنولوجيات الحديثة - أن نهمل هذا الجانب الحيوي في تربية أولادنا ؟؟

إننا إذا ألقينا نظرة فاحصة إلى بيوتنا وكيف يعامل فيها الطفل نجد تباينا واختلافا كبيرا في أساليب تربيته ما بين القهر والكبت ، أو الميوعة والانحلال ، والإفراط في العنجهية والدلال . وقد نجد إهمالا كلياً لهؤلاء الأطفال تقذف بهم في الشوارع للتخلص من صراخهم ومشاكساتهم ، ولا نبالي بعد ذلك أيّ منقلب ينقلبون ولا أي رفيق يصطحبون . فلا نعجب - إذن - من ذلك الجيل المسوخ الذي أخذ يتنامى بكيفية مذهلة ، وينذر بشر مستطير ، ونحن لا نملك أراءه إلا القلق والتذمر كأننا لسنا بمسؤولين أمام الله والتاريخ على وجودهم ولا على تربيته .

وما الطفل في الحقيقة إلا إنعكاس لما في البيوت والأسر ، وما النشأة التي يكون عليها إلا حصيلة لمؤثرات عديدة تطبعه بطابعها ، أقواها وأشدّها تأثيراً ، تلك التي يتعلّمها الطفل عن طريق القدوة من أبويه وبالأخصّ الأم ، لماحباها الله تعالى من رحمة وحنان يجد الطفل في كنفها السكينة والسعادة ، ولم يخطئ شاعر النيل حين قال لقومه :⁽³⁾

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيّب الأعراق
وهل ينكر عقلاؤنا ما يقدمه هذا المجتمع الفاضل من مجهودات وتضحيات في إعداد هذه الأم ثقافياً ودينياً وخلقياً ، ليرتفع بها إلى مستوى التحديات المعاصرة ، فلا تتخلف وراء القافلة جهلاً وخمولا ، ولا تنطوي على نفسها حرماناً وذهولاً .⁽⁴⁾

لقد آن الأوان - أيها الإخوة - أن نعيد ترتيب بيوتنا بأن تصبح الأم فيها الركيزة المتينة في هيكل بنيانه ، والجوهر المصونة تعلي قدره وترفع من شأنه .

يقول « كنفوشوس » الحكيم الصيني الخالد : « وإنّي لأعتقد في قوة القدوة » . وقد كان الحكماء من أهل الصين في الزمن القديم ، إذا أرادوا نشر خير الفضائل بين البشر ، عملوا على ترتيب ولاياتهم ، وإذا هم أرادوا ترتيب ولاياتهم عملوا على تنظيم أسرهم ، وإذا هم أرادوا تنظيم أسرهم ، عملوا أولاً على تطهير قلوبهم ، وإذا هم أرادوا تطهير قلوبهم كان عليهم أن يكونوا أمناء في تفكيرهم ، وإذا هم أرادوا أن يكونوا أمناء في تفكيرهم كان عليهم أن يعملوا على توسيع معرفتهم . فالإصلاح يبدأ في البيت . ومستوى الكمال لا يوجد إلا في القلوب الطاهرة والعقول الواعية » انتهى .⁽⁵⁾

(3) هو حافظ إبراهيم .

(4) يشير الخطيب إلى ما تقوم به جمعية النهضة في مجال التربية والتعليم ومحو الأمية في بلدية العطف منذ الثلاثينات .

(5) من كتاب : المختار في القراءة والنصوص 4 ثانوي ص 25 .

أجل إن إصلاح البيوت هو المنطلق الذي يجب أن تركز عليه جهودنا إن كنا حقاً نريد الخير لأنفسنا وأهلينا . وليس أدلّ على فعالية القدوة في تربية الإنسان من قوله تعالى : « يأيها الذين ءامنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا » ⁽⁶⁾ وصدق الله العظيم . ففي أغوار هذه النفس العجيبة تكن أسرار الخليقة ، وتتهيا عوامل الخير والصالح أو الشرّ والفساد ، تبعا لكسب صاحبها وأخذه بأسباب تزكيتها أو تدسيثها . فاللهم طهر قلوبنا من الزيغ والضلال ، وزكّ نفوسنا بالإيمان وألهمنا سبل الرشاد ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ، واجعلنا للمتقين إماما .

الخطبة الثانية

الحمد لله الخالق البارئ المصور ، أعطى كل شيء خلقه ثم هدى . سبحانه لا أحصى ثناء عليه ، هو كما أثنى على نفسه ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونصلّي ونسلم على خير المرّين ، وإمام المهتدين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فيا أمة الإسلام . إن الأمم الحيّة إذا أرادت الخروج من التخلف ، فإنها تضع خططاً محكمة للتنمية ، وترسم أهدافاً لما تريد أن تصل إليه في كل المجالات الحيوية . ونظراً لضخامة التكاليف فإنها تصنّف الأولويات ، وتتدرّج في الإنجاز وفق القدرات والإمكانيات . وسيبقى الإنسان دائماً هو الأساس في البناء الحضاريّ ، وهو الطاقة الحية التي تحرك دوايب المجتمع نحو الرقي والازدهار . فكل مجهود تنموي لا ينطلق من تكوين هذا الإنسان ، فهو مجهود ضائع ماله الخيبة والفشل . لذا فإن الفلاسفة والحكّاء وضعوا القاعدة الإجتماعية التي تقول «التعليم قبل التعمير» و «الخلق قبل الثقافة» ولعلّ فشلنا الذريع في مجال التنمية الوطنية ، أننا عكسنا ترتيب تلك القاعدة حين ركّزنا على الكمّ دون الكيف وعلى العددية دون النوعية . فماهي ياترى هذه الأهداف التي يجب أن نسعى إلى تحقيقها من تربية أولادنا ؟

(6) سورة التحريم الآية رقم 06.

فالوقاية من النار المشار إليها في الآية الكريمة هي الغاية الأبدية التي يستشرف إليها كل مسلم ، والرحلة إليها شاقة مضنية ، ولكن الله الرحيم بعباده قد شرع الطريق وحدد معالمها ، ووضع الدستور الذي لا يحتاج إلى المراجعة والتصحيح في مبادئه العامة وخطوطه الرئيسية ، ثم إختار المشرعين من أنبيائه ورسله ليضعوا النصوص التفصيلية ، وليجعلوا من سلوكهم العملي القدوة الحسنة التي تهدي إلى سواء السبيل . فهل نحتاج - ونحن الأغنياء بهذا التراث الخالد - هل نحتاج إلى الإستفادة من تجارب غيرنا في مجال التربية والتعليم ؟ وهل نغلق الأبواب على أنفسنا بدعوى أننا على الرأي السديد والمنهج القويم ؟ كلا أيها الإخوة ، فإن رسولنا يقول : «الحكمة ضالة المؤمن يَلْتَقِطُهَا أُنَى وَجَدَهَا»⁽⁷⁾ فما أكثر الأهداف التي يرسمها قادة الشعوب لتربية أجيالهم تختلف باختلاف الفلسفات والإيديولوجيات السائدة في كل جهة . ومهما تختلف في الطرق والوسائل ، فهناك قدر مشترك يتفق عليه علماء التربية ، إذ يعتبرونه كالدعائم الأساسية في البناء التربوي : يقول أحد الدعاة مايلى :⁽⁸⁾

يكاد يجمع علماء التربية في عصرنا الحاضر على أن التربية الناجحة التي تؤثر تأثيرا كبيرا في سعادة المجتمع وتماسك بنيانه هي التي تقوم على الدعائم التالية :

أولا : تقوية شخصية الطفل بحيث يجد في جو البيت ما ينمي مواهبه ويصقلها ويعدها للبناء والإفادة .

ثانيا : تنمية الجرأة الأدبية في نفس الطفل بحيث يعيش شجاعا صريحا جريئا في آرائه ، في حدود النظام والخير والأدب الانساني الكريم .

ثالثا : تقوية روح التعاون والحب في نفسه نحو إخوانه في المجتمع حتى يكون من رؤاد التكافل الإجتماعي في كل ما يعود على الأمة بالقوة والكرامة والأمن والسلام ؟ انتهى .

(7) رواه الإمام البخاري .

(8) هو الداعية المرحوم مصطفى السباعي من كتابه « أخلاقنا الإجتماعية » ص 156 - 157 .

لنتأمل هذه الأهداف ولنعرضها على واقعنا التربوي في البيت والمدرسة ،
لنتبين مواقع تقصيرنا أو قصورنا ، وعلى الآباء والأمهات ، وعلى المسؤولين
التربويين في كل مستوى أن يعملوا متعاونين لتحقيق هذه الأهداف ، عسانا ننقذ
الأجيال ، من براثن التفسخ والانحلال .
هدانا الله إلى ما فيه صلاح أبنائنا وأمتنا . اللهم إنا نسألك البرّ والتقوى
والعمل بما ترضى ، اللهم ألهمنا سبل رشدنا ، ووفقنا لصالح أعمالنا ، وأخرجنا
من الظلمات إلى النور إنك على كل شيء قدير .

القصد في الغنى والفقر

حمداً لله الكبير المتعالي ، خلقنا ورزقنا وأمرنا بالقصد والإعتدال . نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله ، نصح الأمة وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين - أما بعد : فيأيتها الإخوة المؤمنون : إن أصدق الحديث كتاب الله ، وأفضل الهدى هدى محمد - عليه الصلاة والسلام - وقد جاء من وصاياه الحكيمة قوله : « أوصاني ربي بتسع أوصيكم بها : أوصاني بالإخلاص في السر والعلانية ، والعدل في الرضى والغضب ، والقصد في الغنى والفقر ، وأن أعفو عن ظلمي ، وأعطي من حرمني ، وأصل من قطعني ، وأن يكون صمتي فكراً ، ونطقي ذكراً ، ونظري عبداً » .⁽⁹⁾

إنها لوصايا حكيمة ، تجمع أصول الأخلاق الكريمة في الحياة الشخصية للإنسان وفي حياته الإجتماعية ، وكل منها يستحق البيان والتفصيل ، لنعرضها على واقعنا بالمقارنة والتحليل . وسوف لا أتوخى الترتيب الوارد في نصّ الحديث ، بل ءأخذ من الوصايا التسع ما تدعو الضرورة إلى تقديمه والتعجيل به ، لأنّ البلاغة في الكلام ، مايراعى فيه مقتضى الحال كما يقول علماء البيان . أيها الإخوة ! لقد عشنا في هذا الأسبوع لحظات ذكرتنا بالأيام الكالحة العجاف التي مرت على الجيل المخضرم في فترات مختلفة من هذا القرن ، لا يكاد جيلنا الحاضر يتصوّرها ، بلّه أن يصدق ما يقال له عنها . ذلك لأن الرفاه والتعيم الذي نشأوا عليه - بفضل الله - يجعلهم لا يعتقدون بتقلب الأيام وإدبار الدنيا ، وهم مزهوون بفتنتها مسحورون بزيبتها كالذي قال مفتونا بجنّته : ﴿ ما أظن أن تبديد هذه أبدا ، وما أظن الساعة قائمة ﴾⁽¹⁰⁾ فأى حرج وقع فيه الناس ، وآية بليلة أصابتهم وهم يرجعون من المخابر بخفي حنين ، لا من فقر أو

9 (رواه : رزين ، انظر منهاج الصالحين لعز الدين بليق ص 844 .

10 (سورة الكهف الآية 35 - 36 .

جوع ولكن نفاد مخزون السميد والطحين ، على أن ذلك تسبب عن سوء التسيير
لا عن وطأة السنين ؟ وتلك - لعمرى - وضعية مزرية تحطم معاويات
المواطنين حين يحارون في مطعمهم وملبسهم ومسكنهم .

فهذه الحادثة - وإن كانت عابرة ، ربما لا يأبه لها الكثير منا - لا يمكن أن
نغر عليها مرّ الكرام ، دون أن نستخلص منها عبرة الأيام . وربنا - تبارك
وتعالى - قد بيّن طبيعة هذا الإنسان في مواقف الخير والشرّ ، وكيف يصيبه
الهلع لأدنى مظهر من مظاهر الضيق والعسر . حتى إذا أنعم الله عليه إستكبر
وإستغنى ، ثم أدبر وتولّى . فقال جلّ من قائل ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ
أَعْرَضَ وَنِيَآ بِجَانِبِهِ ، وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَزَوْدَعَا عَرِيضًا ﴾ ⁽¹¹⁾ وقال : ﴿ إِنْ
الْإِنْسَانُ خَلَقَ هَلُوعًا ، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ ⁽¹²⁾
ولكن هذا الإنسان المتقلب المضطرب سوف تستقيم أحواله وتسكن بلابله إذا ما
فرغ إلى إيمانه ، وإستعان بصره وصلاته ، لأنه يجد في كنف ربّه الملاذ الحصين
والركن الركين ، كما يدلّ على ذلك الإستثناء المقرون بالآية الكريمة من قوله
تعالى : ﴿ إِلَّا الْمَصْلِينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ ⁽¹³⁾ .

فما هي العبرة التي نستخلصها من هذه الحادثة العابرة ؟ لا شك إن ديننا
الحنيف هو دين الوسطية والإعتدال بين المادية اليهودية المفرطة ، والرهبانية
المسيحية المرهقة . ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ،
ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ ⁽¹⁴⁾ وقد وضع لنا تلك القاعدة الإجتماعية
الحكيمة ، لتتوخّاها في كل تصرفاتنا ، قاعدة « لا إفراط ولا تفريط » . وفي مجال
الإنفاق أمر المؤمنين بالقصد والإعتدال فقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ
يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ ⁽¹⁵⁾ وقال - عليه السلام -
﴿ الإقتصاد في النفقة نصف المعيشة ﴾ ⁽¹⁶⁾ ففي المجال النظري قد تتأثر
بأمثال هذه الآيات والأحاديث ، وتتحرّك عواطفنا لحسن بيانها .

11 (فصلت : الآية 51 . 12 - 13) المعارج : الآية 19 - 20 - 21 - 22 - 23 .

14 (البقرة : الآية 134 . 15 (الفرقان : الآية 67 . 16 (رواه الطبري .

ولكن سرعان ما يدهمنا الواقع ، ويستبدّ بنا الإلْف والعادة ، ونحن مستظلون برواق الأمن والعافية . وعندما تمتلئ البطون إلى حدّ التخمة ، وتقوي الناس بسطة الأمن إلى حدّ الفسولة والميوعة ، فإن مقدّرات الأمة ومقوّمات أصلتها تصبح في مهبّ الرياح . يقول أحد الدعاة : « الإسلام يريد أن يثبت جذور الترف من معيشة الفرد ومعيشة الجماعة حتى يسلم للأُمّ كيائها ويبقى تماسكها ، وجدير بالأمة المسلمة أن تجعل حياتها جنديّة لله ، وتاريخها جهادا موصولا لإعلاء الحق وحماية دعوته ، وظاهر أمرها وباطنه ترقّعا عن فتن الدنيا وملاهيها الصغيرة . أما التهالك على الشهوات والتهاي في المحرمات فهو فرار من التكليف ، ونكوص عن الجدّ ، وتضييع لمعالم الشرف . وتلك خلال إن تسرّبت إلى أمة وأدتها » انتهى ⁽¹⁶⁾ وعندما نكصت قريش عن دعوة الله وءاثرت شهواتها وأشفقت على زعامتها في دنيا الناس جاء القرآن ليذكرها بنعم الله عليها ، وأعظمها أثرا في تلك الحياة المترفة المنعمة نعمة الشيع والأمن فقال جلّ من قائل : ﴿ فليعبدوا ربّ هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وعامنهم من خوف ﴾ ⁽¹⁷⁾ وما أوتينا - نحن - اليوم في بعض أخلاقنا وعاداتنا الأصلية إلا من البطون المتخمة والحياة الوديعّة الآمنة . فيها ذي قوارع الزمن ومفاجآت الأيام تنبّهنا من غفلة ، وتمسح - بإذن الله - ماران على القلوب ، من أدران الذنوب ، فإذا هي واعية رشيدة ، ومن عظة الأيام وعبرتها مستفيدة . ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ ⁽¹⁸⁾ يقول أمير الشعراء .

وإن طالعت أحداث الليالي
وجدت الفقر أقرها إتيابا
وأعط الله حصته إحسابا
فخذ لبنيك والأيام ذخرا
فليس من شية المؤمن القوي أن يكون عبد بطنه وفرجه ، وأن تتحكّم فيه العادة تحكّم السكر في المخمور . لأنّ ذلك شأن الكافرين الذين يقول القرآن

16 (هو الشيخ محمد الغزالي في كتابه « خلق المسلم » ص 151 - 152 .

17 (سورة قريش الآية : 3 و 4 . 18 (الأعراف : الآية 201 .

عنهم ﴿ والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام ، والنار مثوى لهم ﴾⁽¹⁹⁾ وليس عسيرا على اللبيب العاقل إذا توفرت فيه العزيمة والإرادة أن ينظم شؤون حياته في الإنفاق على قاعدة الوسطية والاعتدال ، وذلك بالاستغناء عن كثير من الكماليات ، والإكتفاء بالضروريات مما يكفل الحياة البسيطة التي أمر بها الإسلام وسار على سننها رسول الله وصحابته . ثم إن لكم - أيها الأخوة - في مجال الإدخار ما تضعون فيه فضول أموالكم للإيام العجاف تحسبا لمفاجآت الغيوب . وإن لنا من تاريخ أسلافنا في هذه المنطقة الطيبة لدروسا وعبرا يوم أن كانوا معزولين عن المنتجع الحيوي في شمال بلادنا على وفرة المؤن ورواج التجارة . كيف كانوا - رحمهم الله - يتخذون من بيوتهم مستودعات للإدخار ، موصولة أو مفصولة عن الديار ، ولا يكتفون بميرة أهلهم ، بل يحتاجون لما يحتاجه اليتيم والمسكين ، أو القريب والجار ، حتى إذا إنقطعت الطرق ، أو دق ناقوس الخطر ، وجدوا من مذكراتهم ما يسد حاجة البلد ، فضلا عما ينفقونه على الأهل والولد . فإين هي تلك المستودعات اليوم ؟ لقد تحول أغلبها إلى دور للسكن ، حتى لكان الأرض ضاقت بأهلها فلا يجد الناس موطئ قدم للمثوى .

كلّا بل إن الله الرحيم بعباده قد بارك هذه الأرض يوم أن خلقها وقدر فيها أقواتها وكفل لكل مخلوق رزقه فقال جل من قائل : ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين ﴾⁽²⁰⁾

ولكنه الظلم البشري يتسلط على رقاب الناس ويتعدى على حقوقهم ومقدراتهم : يقول الشاعر العربي

وحقك ما ضاقت بلاد بأهلها
ولكن أخلاق الرجال تضيق

نعم - أيها الأخوة - فإن أزمة بلادنا ليست إقتصادية بقدر ما هي أزمة خلقية في أساسها . فإنا علينا ألا أن نتصالح مع أنفسنا ومع الله خالقنا عساه أن ييسرنا لليسرى ويجعل لنا من أمرنا رشدا . اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحول عافيتك ، وفجاءة نقمتك ، وجميع سخطك .⁽²¹⁾

. (21) رواه مسلم .

. (20) سورة هود الآية : 06 .

. (19) القتال : الآية : 12 .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذى أحاط برحمته ورعايته كافة الخلق ، وفصل بعضهم على بعض فى الرزق . نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونصلى ونسلم على أشرف خلق الله ، محمد بن عبد الله ، وعلى آله وأصحابه ومن والاه . أما بعد : فيا أمة الإسلام . أوصيكم ونفسي بتقوى الله فى السر والعلن ، وأن تجتنبوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، يقول الرسول ﷺ « من أراد الله به خيراً جعل غناه فى نفسه وتقاه فى قلبه ، ومن أراد به شراً جعل فقره بين عينه »⁽²²⁾ فما هو الحد الأدنى الذى يمكن للإنسان أن يقتنع به من حظوظ الدنيا ، ويغدو به هنيئاً مطمئن البال ؟ وهل المقاييس الهادية تصلح لاستكناه أسرار النفس البشرية وسبر أغوارها ؟ . ولكن آتينا أن ننفلت من إसार الجسد ومتطلباته الهادية ، وقد جعله الله تعالى ظرفاً لهذه النفس وصدفاً لجوهرتها ؟ - والرسول - عليه السلام - لا يشتط فى العالم الروحاني إذا ما أرشدنا ، بل يقدم إلينا من المواعظ والإرشادات ، ما يتناسب مع واقعنا المحسوس ، عندما ذكر الحد الأدنى الذى يمكن أن يوفر للمؤمن ذلك القدر من الرضى والطمأنينة فيقول : « من أصبح منكم عامناً فى سربه ، معافى فى جسده ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذاقيرها »⁽²³⁾ فزنوا واقعكم - أيها الإخوة - بما ورد فى هذا الحديث الشريف لتعرفوا أي حد أنتم فيه من نعيم الله ، ثم ليتبين أحدكم المرتبة التى يطلبها لتحقيق له القناعة والرضى بما قسم الله له . فطوبى لمن وفقه الله لغنى النفس وتقى القلب . وإلا فإن الرغبة والحرص ليس لهما حد يرضى النفس الجشعة والقلب الملهوف . وصدق رسول الله : « لو كان لابن آدم واديان من الذهب والفضة لتمنى أن يكون له ثالث ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب »⁽²⁴⁾

(22) رواه الترمذى . (23) رواه الترمذى . (24) رواه البخارى ومسلم والترمذى .

ولو أننا تتبعنا في إقتصادنا وإنفاقنا القاعدة الذهبية التي وضعها الإسلام في قوله تعالى : ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ، لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها ﴾ ⁽²⁵⁾ لو أننا تتبعنا هذه القاعدة لما كانت هناك أزمة ولما شكونا وطأة السنين . وإنا لفي زمن يتباهى فيه الناس بما لا يملكون ، ويتطاولون إلى ما لا يقدرُونَ ، فيقعون في الحرام ، ولا يأبهون من أية الطرق يأتي إليهم المال والحطام . وصدق رسول الله إذ يقول : « لِيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ ، لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا أَكَلَ الرِّبَا ، فَإِنْ لَمْ يَأْكُلْهُ أَصَابُهُ مِنْ بَخَارِهِ (أَوْ غِبَارِهِ) » . ⁽²⁶⁾

وما سبب ذلك إلا سعي منهم لترضية الأهل والولد ، وهم يلحُونَ في الطلب ويستزيدون من رغائب الدنيا ما تقصر عند اليد ، فإذا بالرعاي والكفيل ، يخيس بعهد الله وينحرف عن سواء السبيل . يقول رسول الله - عليه السلام - « يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ هَمَّتْهُمْ بَطُونُهُمْ ، وَشَرَفَتْهُمْ مَتَاعُهُمْ ، وَقَبِلَتْهُمْ نِسَاؤُهُمْ ، وَدِينُهُمْ دِرَاهِمُهُمْ وَدَنَانِيرُهُمْ ، أَوَّلَيْكَ شَرُّ الْخَلْقِ ، لَا خَلْقَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ » ⁽²⁷⁾ « اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها » ⁽²⁸⁾ اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا .

25 (سورة الطلاق الآية 7 .

26 (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

27 (رَوَاهُ الدِّيلَمِيُّ .

28 (رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

الإخلاص في السر والعلانية

الحمد لله رب العالمين ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون سبحانه وتعالى عما يشركون . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن سيدنا محمدا عبده ورسوله القائل في وصايا ربه التسع : « وأوصاني بالإخلاص في السر والعلانية » ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين . وبعد : فيأيتها الإخوة المؤمنون : هذه هي الوصية الثانية من وصايا الله لرسوله ، وهو الحريص على إبلاغها للأمة ، فما أعظم الوصية وما أقدسها في قلوب المؤمنين إذا كان الموصي هو رب العالمين ، ومبلغها هو رسول الله إلى الخلق أجمعين . وكلمة الإخلاص في معناها اللغوي تعني الصفاء والنقاء من الأخلاط والأوشاب ، وتعني السلامة من المكدرات والأوصاب . وفي المجال الديني والخلقي فإن المخلص هو ذلك الذي يتقرب بعمله إلى الله وحده ، لا يريد من غيره جزاء ولا شكورا ، وقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى في غير ما آية من مثل قوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ، فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ﴾ ⁽²⁹⁾ وقوله : ﴿ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ ⁽³⁰⁾ .

وأشدّها تركيزا على معنى الإخلاص هي آية الكهف التي جاءت جوابا لذلك الرجل الذي قال لرسول الله : « إني لأقف الموقف أريد وجه الله ، وأريد أن يرى موطني » ، فلم يردّ عليه رسول الله حتى نزل قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ ⁽³¹⁾ . ولقد صور الإمام الغزالي حقيقة الإخلاص بقوله : « أعلم أن كل شيء يتصور أن يشوبه غيره ، فإذا صفا عن شوبه وخلص منه سمّي خالصا ، ويسمى الفعل المصفى المخلص إخلاصا » . قال تعالى : ﴿ مِنْ بَيْنِ فَرَثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾ ⁽³²⁾ فإنما خلوص اللبن أن لا يكون فيه شوب من الدم

30 (سورة البينة الآية : 05 .

29 (سورة الزمر الآية : 14 و 15 .

32 (النحل الآية : 66 .

31 (سورة الكهف الآية : 110 .

والفرث ومن كل ما يمكن أن يمتزج به . والإخلاص يضادّه الإشراك . فمن ليس مخلصاً فهو مشرك . إلا أن الشرك درجات . فالإخلاص في التوحيد بضادّه التشريك في الإلهية . والشرك منه خفي وجليّ . وكذا الإخلاص . والإخلاص وضدّه يتواردان على القلب ، فحلّه القلب» انتهى⁽³³⁾

أجل ! نحن بإزاء فضيلة من فضائل القلب ، تلك المضغّة العجيبة التي هي في مظهرها المادي جارحة بسيطة لضخّ الدم ودفعه في الأوعية والشرين ، ولكنها في سرّها الخفيّ مستودع للأنوار الربانية ، أو مرتع للنزغات الشيطانية . صدق رسول الله حين قال : « ألا وإن في الجسد مضغّة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب »⁽³⁴⁾ ولعلنا لقصور إدراكنا نعتقد أن لا حيلة لنا في هذه القلوب ، ولا خيرة لنا في أمر صلاحها أو فسادها إذ هي بين إصبعين من أصابع الرحمان يقبّلها كيف يشاء ؟ قد يجلو للعاجز منا أن يركن إلى هذا تصوّر الخاطي فيحمل القضاء والقدر سوء تصرفه وتمردّه عن ربّه كلّاً ! .. فإن لنا في رسول الله إسوة حسنة . فهو المخلص المتبتّل ، وهو الربّاني المتوكّل ، وهو المغفور له ماتقدم من ذنبه وما تأخّر ، فهل قعد عن العمل ؟ وهل إتصف بالعجز والكسل ؟ كلا ! بل هو المثال الحيّ للإخلاص في العبادة ، وهو القائل لأخصّ الناس به إبنته وعمته : إعملوا فإنني لن أغني عنكما من الله شيئاً ، إرشاداً منه للأمة أن تأخذ بسنن الحياة في توخّي الوسائل والأسباب ، وأن تسخر مواهبها في كل ماترجوه في المجالات المادية أو الروحية . لأن الله تعالى - وهو الرازق الوهاب - يعطي وييسّر ، أو يحرم ويعسّر وفق إرادة الإنسان ونيته يقول تعالى : ﴿ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل وأستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ﴾⁽³⁵⁾ . والناس مدفوعون بغرائزهم في سلوكاتهم الخاصة والعامة ، إلا أن دوافعهم في ذلك تختلف وفق ماتعودوا عليه في تربيتهم

33 (أخلاق القرآن ج 02 ص 173 .

34 (رواه مسلم .

35 (سورة الليل الآية : ص 05 إلى 10 .

وعلاقتهم بغيرهم . ومن هذه الدوافع ما هو ظاهر جليّ يبدو لنا من طبيعة العمل الذي يمارس ، ومنه ما هو خفيّ لا يدركه إلا الذي يعلم السرّ وأخفى . ويختلف الناس في قدرتهم على التحكم في مايسرون به ومايعلمون . غير أن المؤمن ينبغي أن يطرح من حسابه مراعاة الخلق في علاقته بخالقه وهو يتردّد إليه ويرجو رضاه ، إذ تتنفي عند الله حالات السرّ والعلن إذا ما تغيّر موقف العبد فيها أثناء عمله ، ولذا نجد رسول الله يؤكّد على التزام الإخلاص في الموقفين : السرّ والعلن ، سيما إذا جسّد الإنسان نيته في عمل شائن كان في مقدوره أن لا يفعله . لأن العمل في تقييم الإسلام لا يوزن بالكمّ والعدد ، ولكن بالدوافع والنيات ، وبالمقاصد والغايات ، يقول رسول الله : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » . ويعطي الرسول مثلاً لذلك من الهجرة ، وهي تجسّد يومئذ النموذج الأعلى في الإخلاص لله ورسوله . فيقول - عليه السلام - « فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » ⁽³⁶⁾ فما أكثر الذين يضربون في فجاج الأرض ويتجشّمون الصعاب طلباً للعلم أو الإرتزاق ، أو السياحة والتأمل في الآفاق ! وما أكثر الذين يتردّدون على البقاع المقدّسة للحج أو الإعتار ، أو يقومون الليل ويصومون النهار ، وهم في عملهم ذلك لا يريدون وجه الله ، ولا تصفو نواياهم من شوائب الرياء وهم يتصيّدون المنافع العاجلة ، فإن هؤلاء ليس لهم من الأجر والثواب إلا بقدر ما يصحبهم من الإخلاص والنية الصادقة في بعض أجزاء ذلك العمل الذي يبدو ظاهره قرينة إلى الله ، لأن الرياء رذيلة يلجأ إليها ضعاف النفوس ممن تعوزهم الشجاعة والجرأة في مواقفهم ، وبالتالي تزجّ بأصحابها في زمرة المنافقين الذين يقول الله تعالى عنهم : ﴿ يראؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً ﴾ ⁽³⁷⁾ يقول أحد الدعاة في تحليل هذا الموقف الشائن : « الرذيلة السافرة تولد جريئة وتسير في المجتمع

36 () رواه البخاري ومسلم .

37 () سورة النساء الآية : 142 .

جريمة فهي منكورة أمّا الرذيلة التي تظهر في لباس من الطاعة المطلوبة فهي إمّا رذيلة مرهوبة الشرّ على صاحبها وعلى المجتمع . ذلك أن صاحبها يقتربها وهو يشبع نهم نفسه في الوقت الذي يتوهم فيه أنه يرضي الله . فكيف يحسّ أنه ارتكب إثماً ؟ وكيف يتوب مما يفترض أنه خير ؟ وأمّا المجتمع العامّ فصائبه من الفضلاء المنافقين أنكى من مصائبه التي ينزلها به معتادو الإجرام من الصعاليك ، إن ضعف الإخلاص عند كثير من ذوي المواهب جعل البلاد تشقى بؤاهبهم وترجع القهقري « انتهى ⁽³⁸⁾

أي والله ! لقد أصاب المحزّ هذا الداعية المخلص . إذ عبّر بصدق عن الأمراض التي تشكو منها أغلب بلاد العروبة والإسلام ، وهي تضرب من الداخل على يد أبنائها ممن يفتقرون إلى حرارة الإخلاص والوفاء في أخذهم بمقالييد الأمور ، فلا يراعون في أبناء جلدتهم إلّا ولا ذمة ، إذ لا يعرفون في تقلّد مسؤولياتهم إلّا منطق المال والحظوة أو الرتب والترقيات ، فهم يتلقّون من فوقهم ويحتقرون من دونهم ، وتلك خسائس لا يرتضيها عاقل لنفسه ، ولا يتصف بها مؤمن يعتقد أن الله تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور . فاتقوا الله - عباد الله - وأخلصوا له دينكم وتقواكم فإنه تعالى لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم ⁽³⁹⁾ اللهم إنا نسألك البرّ والتقوى والعمل بما ترضى ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم .

الخطبة الثانية

نحمد الله تعالى ونستغفره ونتوب إليه ونستعينه ونستعيذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن سيدنا محمد عبده ورسوله إمام المهتدين المخلصين ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين . وبعد : فإذا كان الإخلاص بهذه المنزلة من الأثر في نجاح الأعمال ، وقبولها عند

الله ذي العزة والجلال ، فإنه أصبح لزاما علينا أن نحاسب أنفسنا ، وتبين مالدينا من رصيده في قلوبنا ، ولا شك أنه سوف لا ترضينا النتائج التي تتوصل إليها ، ونحن نتذمر من سوء أحوالنا ، ونشتكي إلى الله عاقبة أمرنا ، إذ أصبح بأسنا بيننا شديدا ، وأحاطت بنا خطيئتنا عندما تصارعنا على فتنة الدنيا وفرحنا بما أوتينا . فهل إلى خروج مما نحن عليه من سبيل ؟ وهل إلى نهج الصلاح والوفاق من دليل ؟ نعم هو ذا بلسنا الشافي لكل الأمراض الاجتماعية التي إشتدت علينا وطأتها ، إنه الإخلاص والوفاء لديننا ووطننا ، الإخلاص في تقائه ونصاعة بياضه يستكن في سؤداء القلوب ، وينفي عنها زيف الرياء والنفاق ، ويظهرها من سوء الأخلاق . فإن الله العليّ القدير قد وعد عباده المخلصين أن يقيمهم من مكاييد الشيطان فقال جل من قائل : ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من إتبعك من الغاوين ﴾ ⁽⁴⁰⁾ وتنتهي حيل الشيطان فلا يجد سبيله إلى القلوب المخلصة المتألقة بنور ربها ، وهو يعترف لرّب العالمين بعجزه وضعفه أمام هذا الصنف من الناس فيقول : ﴿ ربّما أغويتني لأزیننّ لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادة منهم المخلصين ﴾ ⁽⁴¹⁾

ومن عجيب أمر هذا الإنسان أنه لا يقوى في أغلب أحواله أن يجمع بين فضائل شتى . فإن هذه الصفة المثلى لا تكون غالبا إلا في قلوب الضعاف المغمورين ، بينا القادر الموهوب فقلما يتحلّى بهذه الصفة لإعجابه بنفسه وإغتراره بقدراته . فإذا جمع إلى ذلك مغريات السلطة والجاه ، فتلك فرصة العمر عنده للتسلّط على رقاب الناس وأعراضهم وأموالهم . ولذا كان رسول الله يتخير من أصحابه لمقام المسؤولية من يتوسّم فيهم الإخلاص والأمانة ، ثم يوصيهم بذلك عندما يودّعهم لتقلّدهم مسؤولياتهم . قال معاذ بن جبل - رضي الله عنه - : لما بعثني رسول الله ﷺ إلى الين قلت له : يا رسول الله أوصني : فقال : « أخلص دينك يكفك القليل من العمل » . ⁽⁴²⁾

أيها الإخوة المؤمنون : لنكن جميعا مخلصين لديننا ووطننا ، كل واحد منا في موقع عمله : حاكما أو محكوما ، إماما أو مأموما ، عسى ربنا - تعالى - أن يرفع عنا ويلات هذه الفتنة العمياء ، ويقينا مصارع السوء في تهافت الدهماء والغوغاء⁽⁴³⁾

اللهم اكف عنا شرّ الأشرار وكيد الفجار ووساوس الأفكار وشرّ ما يختلف بين الليل والنهار . اللهم إنا نعوذ بك من سوء الأخلاق وتضييق الأرزاق ، وزوال النعم وحلول النقم ، اللهم لا ملجأ منك إلا إليك ، اللهم كن لنا ولا تكن علينا ، كن لنا وليا ونصيرا يانعم المولى ويانعم النصير ، والحمد لله ربّ العالمين .

43 (يشير الخطيب إلى فتنة الإرهاب والعنف في الجزائر لسنة 1993 م .

العدل في الرضى والغضب

الحمد لله الذي كرم بني آدم وحملهم في البر والبحر ، وفضلهم على كثير من خلق تفضيلا ، وعرض الأمانة على السموات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان ، إنه كان ظلوما جهولا . سبحانه وتعالى في كمال صفاته وبديع صنعته ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونصلي ونسلم على أشرف خلق الله هاديا ورسولا . سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطاهرين فروعا وأصولا أما بعد :

فيا أيها الإخوة المؤمنون : لقد بسط القرآن الكريم القول في أصل الإنسان وشخصيته ، وتناول الجوانب الإيجابية والسلبية في طبيعته وفطرته ، مما لا يدع شكا في حقيقة تكوينه ، ولا مجالا لتهافت آراء الفلاسفة والعلماء حول إدراك أصله وجوهره . ولقد بينت الآيات البيّنات ازدواجية تكوينه من مصدر ترابي مادي ، ومصدر روحي هو النفخة العلوية من روح رب العالمين . وحسب هذا الإنسان تكريما وتفضيلا من الخالق الكريم ، ذلك الإحتفاء الخاص بمقدم أبيه آدم في الملاء الأعلى ، والإعلان به خليفة لله في الأرض ، ثم أمره للملائكة بالسجود له ، لما حباه الله من العلم والإرادة ، ولما أودع في أصل فطرته من الصفات الخلقية الإيجابية هي من صبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة . فإذا قدر للإنسان أن تنتابه صفات سلبية من الشر والسقوط ، فذلك شيء عارض تتسبب فيه مؤثرات مختلفة يمكن أن يحصن منها ابتداء ، أو تقوم بوسائل التربية والتوجيه ، لننظر مثلا إلى هاتين الصفتين في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ ، وهو يتحمل أمانة التكليف عندما يخطئ التوفيق في عدم الوفاء بحقها إما عمدا أو تهاونا ، فإن الآية الكريمة تؤكد ضعف الإنسان أمام رغباته ونزواته ، ما لم يتدرع بالإيمان والعمل الصالح ، ويستمدّ العون من لدن القوي القاهر . وقد أكدّ الله هذا الضعف الإنساني بقوله تعالى : ﴿ يَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾⁽⁴⁴⁾

يعلق أحد العلماء على هذه الآية الكريمة بقوله : «يَبْدُ أَنْ هَذَا الضَّعْفُ يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ الْعَاقِلُ الْمُؤْمِنُ أَنْ يَجْعَلَهُ سَبِيلًا لَاسْتِمْدَادِ الْقُوَّةِ مِنْ مَصْدَرِهَا الْأَصِيلِ . فالإنسان ضعيف أمام الله خالفه القوي ورازقه المتين . فالإيمان بالله قوة يكافح بها الإنسان ضعفه حين يجعل صلته بالله سندا دائما ومعينا ووكيلا ومرجعا . والمنهج الإلهي هو الذي يجعل الإنسان على الرغم من ضعفه أمام بعض ميوله الجائعة ورغباته الطائشة يستخدم عقله وإرادته في الضبط الذاتي ، ويجعل من الإيمان بالله رقبيا على عقله وإرادته ودوافعه ، فلا يذل أمام هوى ولا يقع ضريح الشهوات . وكذلك يكافح ضعفه الجسدي بالتمسك العلم وتطبيقاته الإلهية والطب والدواء ، سائلا ربه القوة والشفاء» . انتهى⁽⁴⁵⁾

نعم - أيها الإخوة - لعل الغضبية في الإنسان هي من الميول الجائعة التي تفقده التحكم الواعي والتوازن السليم ، قلما يتبصر معها بعواقب الأمور ، أو يستقيم له حكم ، وبالتالي لا يرتجى منه في موقفه ذاك مكرمة ولا فضل ، إذ يشعر بعزة النفس ويطنغى عليه حب الذات وهو يملك القدرة على الانتقام . ففي هذه الحالة المربكة يوصي رسول الإسلام في وصيته الثالثة بالعدل في الرضى والغضب . والعدل في المعنى اللغوي هو القصد في الأمور ، وهو الإنصاف والمساواة بين الناس وإعطاء كل ذي حق حقه . والعدل في الغضب هو أوفق ما يطلب من الغضوب الكنود ، وإلا فإن النفوس الحليمة الكريمة تستنزل رضى النفوس وحبها بكظم الغيظ والعفوع عن الناس ، كما كان شأن رسل الله بصفة عامة ورسولنا الأعظم بصفة خاصة ، وهو القائل لأصحابه : « مَا تَعْدُونَ الصَّرْعَةَ فَيْكُمْ ؟ قَالُوا : الَّذِي لَا تَصْرَعُهُ الرِّجَالُ . قَالَ : لَا وَلَكِنْ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ »⁽⁴⁶⁾ وليست الغضبية في حد ذاتها صفة ذميمة ، إذ أن الخالق العظيم جعلها في الحيوان غريزة يحافظ بها على بقائه ، ويصاول بها تحرشات أعدائه . ولكنها قد تفور وتثور وتتجاوز الحد المعقول ، فتؤدي بصاحبها إلى الشر والويل . ولذا ينصح رسول الله في مثل هذه الحالة التي

تنتاب بعض الناس بلزوم مكانه حتى يثوب إلى رشده يقول : « ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم ، أما رأيتم إلى حمرة عينية وانتفاخ أوداجه . فمن أحسن بشيء من ذلك فليصق بالأرض » ⁽⁴⁷⁾ وقد صنف رسول الله الناس في منزلتهم من العقل والفضل فقال : « إن بني آدم خلقوا على طبقات شتى : ألا وإن منهم البطيء الغضب سريع الفيء ، والسريع الغضب سريع الفيء ، والبطيء الغضب بطيء الفيء ألا وإن منهم بطيء الفيء سريع الغضب ، ألا وخيرهم بطيء الغضب سريع الفيء فتلك بتلك ، ألا وإن منهم بطيء الفيء ، وشرهم سريع الغضب بطيء الفيء » ⁽⁴⁸⁾ وصدق رسول الله . فما بعد هذا التصنيف من إزدياد . فليضع المؤمن نفسه حيث أراد .

أيها الإخوة المؤمنون : إن الهناء والاستقرار لا يتوفران في الجوّ المشحون بالمهاترات والمنازعات ، لأن العواطف الجموحة إذا لم يكن لها ضابط من عقل أو دين ، فإنها لا تهدأ إلا بالانتقام والثأر المنيم . والويل لمجتمع لا يسود فيه العدل والإنصاف ، يوم تخضع العلائق الإنسانية فيه إلى مؤثرات الأحزاب والأحلاف ويستشري بين طبقاته النزاع والخلاف . فتلك أسوأ حالة يحذر القرآن الكريم من مغبتها ، ويعتبرها من أفدح المصائب التي تبعد المجتمعات البشرية إذ يقول تعالى : ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم ، أو يلبسكم شيئا ويذيق بعضكم بأس بعض ﴾ ⁽⁴⁹⁾ والله تعالى وهو العادل في أحكامه والقائم بالقسط في ملكوته يدعونا إلى التزام العدل في كل المجالات سواء مع خالقنا أو مع أنفسنا أو مع الناس أجمعين ، ويجعل القيام بالعدل من مهمة الرسل الكرام ، في ما ينزله عليهم من الأحكام فيقول تعالى : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾ ⁽⁵⁰⁾ هدايا الله جميعا إلى إتباع الحق وتحقيق العدل حتى نكون أهلا لمحبه ونصرته . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(49) سورة الأنعام الآية : 65 .

(47) و (48) رواه الترمذي .

(50) سورة الحديد الآية : 25 .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أمرنا بالعدل والإحسان ، ووعد ناصرهما بالسعادة والإطمئنان .
نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونصلي ونسلم على خير العادلين
والمحسنين سيدنا محمد وعلى ءاله وأصحابه ، ومن تبع هداهم إلى يوم الدين .
وبعد : فيأمة الإسلام : إذا قال الحكماء « العدل أساس الملك » فإنهم لم يخطئوا
التقدير في مقولتهم هذه ، إذ أن العمران البشري لا يزدهر ولا يستمر في ظل
القيادات الجائرة المتسلطة مهما إمتد بها الأمد ، أو إغترت بما تملكه من العدد
والعدّد . لأن الله تعالى قد يمنّ على المستضعفين ، فيمكن لهم في الأرض بعد
حين . وبما أن الناس تختلف دوافعهم في التزام العدل ، فإن الله قرن إنزال
الكتاب والميزان بإنزال الحديد ، ومافيه من بأس شديد ، وقد قيل : يزرع الله
بالسلطان ، مالا يزرعه بالقرآن . يقول أحد المفسرين تعليقا على هذه الآية
الكريمة : « خير الناس من يصدّهم عن الظلم والعدوان هداية القرآن ، ويليهم من
يصدّهم العدل الذي يقيه السلطان ، وشرهم من لا علاج له إلا السيف والسنان .
وهذا هو المراد بالحديد فقوام صلاح العالم بالإيمان بالكتاب الذي يحرم الظلم
وسائر المفاسد ، فيتجنبها المؤمن خوفا من عذاب الله في الدنيا والآخرة ورجاء
ثوابه فيها ، وبالعدل في الأحكام الذي يردع الناس عن الظلم بعقاب السلطان »
انتهى ⁽⁵¹⁾ وقال الشاعر المتنبّي قديما

والظلم من شيم النفوس فإن تجد
ذاعقة فلعلّـة لا يظلم
فلتكن علّتك - أيها المؤمن - في التعفّف عن الظلم هي تقوى الله لأنها صام
الأمان من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ، ولأنها خير الزاد في رحلتك الأبدية إلى
دار القرار . وتلك هي الصفة المثلى التي يجب أن تطلبها وتتوخاها في تصرفاتك
بالدرجة الأولى . فإن قصّرت عن بلوغ هذا الشأ الرفيع . فلا أقلّ أن تكون

51 (هو الشيخ رشيد رضا في تفسير المنار انظر ، موسوعة أخلاق القرآن للدكتور الشريابي
ج . 01 ص 27 .

علّتك ذلك الحسّ الوطني أو بالأحرى الحسّ المدني الذي يجعلك تنصاع عن قناعة ذاتية لما يسود البلاد من الأنظمة والقوانين التي من شأنها أن تحقق العدل بين الناس . وما هذه التفرقة بين حقيقة الدين والوطن إلا تمثيل للأمر الواقع الذي يعيشه . وإلا فليس في الإسلام ما يفصل بين حقيقة الدين والوطن ، بل هما متلازمان متكاملان عندما يسود حكم الله وصدق رسول الله اذ يقول : « مامن أمتي أحد ولي من أمر الناس شيئاً لم يحفظهم بما يحفظ به نفسه إلا لم يجد رائحة الجنة »⁽⁵²⁾

للهم ألف بين قلوبنا وأصلح ذات بيننا ، ووفقنا لصالح أعمالنا ، اللهم قنا نوائب الزمان ومكائد الشيطان ، و سطوات السلطان . ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . يا أرحم الراحمين .

(52) رواه الطبراني .

إدفع بالتي هي أحسن

الحمد لله الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات شمل بعفوه ورحمته جميع المخلوقات ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن سيّدنا محمدا عبده ورسوله قدوتنا في الفضائل والمكرّمات ﷺ وعلى آله وأصحابه ومن تبع هداهم إلى يوم الدين . أما بعد : فيأيتها الإخوة المؤمنون : تابع حديثنا عن الوصايا التسع في ما بلغه رسول الله ﷺ لأمته توصية من ربّ العالمين إذ يقول : « وأعفو عن ظلمي ، وأعطي من حرمني ، وأصل من قطعني » . إنها وصايا ثلاث تخصّ العلائق الإجتماعية التي توفر الأمن والطمأنينة لآفراد المجتمع المسلم ، وتوطّد أسس التعاون والتكافل بينهم حين تسود الثقة ويعصم الوفاق . فهي وإن تعددت فيها أشكال المعاملة بين الطرفين ، إلا أن معناها يتلخص في قوله تعالى : ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ ⁽⁵³⁾ وملاك الأمر فيها أن تغلب على الرجل صفة الحلم والأناة ، فلا يتعجل العقوبة إذا قدر ، ولا يستفزّه الغضب للانتقام ، وقد جعل الرسول ﷺ الحلم أحد أسباب ثلاثة يبتغى بها الإنسان الرفعة عند الله ، وهي وصل من قطعك ، وإعطاء من حرمك ، والعفو عن جهل عليك . وقد أشاد القرآن الكريم بخلق الحلم ، وهو من صفات الله الحسنى ، ومن أخلاق النبوة والرسالة ، وخصائص النفوس العظيمة التي تتحلّى بالأناة والصبر ، وبالتعقل والرزانة في مواجهة التحديات والاستفزازات ، وهو كما عرفه العلماء حالة يظهر معها الوقار والثبات عند الأسباب المحركة للغضب ، أو الباعثة على التعجل في العقوبة ، كما عرفوه بأنه حبس النفس حتى تخضع لسلطان العقل وتطمئن لما يأمرها به ⁽⁵⁴⁾

53 (سورة فصلت الآية : 34 .

54 (موسوعة أخلاق القرآن د : الشرباصي ص 182 ج 01 .

ويقول الإمام القرطبي في تفسيره للحلم بالنسبة إلى الله تعالى : « هو ما يفيد طرح المؤاخذة ، وأنه باب رفق وتوسعة ، وقد يذكرنا هذا بقول الله جلّ جلاله : ﴿ وَلَوْ يَعْجَلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ ، فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ ⁽⁵⁵⁾ » والإنسان معرض في حياته اليومية إلى كثير من المثيرات ، وتناوشه كثير من التحرشات في غدوّه ورواحه ، وتختلف طباع الناس في مواجهتها ، فمنهم الغضوب العجول ، يستحمق بأدنى التوافه فيثور ويسخط ويلعن ، بل يضرب ويقاقل ومنهم العظيم النفس الراجح العقل كالطود الأشم لا تزعزعه الأعاصير والأنواء ، وكالبحر الخضم لا تكدره الدلاء . وقد ضرب رسل الله الكرام أروع الأمثال في الحلم والعفو مع أقوامهم في مسيرة دعوتهم إلى الله . وهذه قصصهم في القراءن الكريم تشيد بهذا الخلق العظيم الذي ينمّ عما حباهم الله به من كرم وفضل ، وما خصّهم به من نبل وشهامة ، وذلك من أصدق العلامات للإختيار والإصطفاء ، ومن أعظم المؤهلات لتلقي الأنوار العلوية . إنطلاقاً من سيدنا نوح - عليه السلام - إلى صفوة الأنبياء سيدنا محمد ﷺ . ولا أشدّ على نفس الحرّ الأبّي من إذابة الحمقاء والسفهاء الذين لا يملكون شرفاً يصابان ، وليس لهم في الناس قدر ولا شأن ، وصدق الذي قال :

بلاء ليس يعدله بلاء
عداوة غير ذي شرف ودين
يبيحك منه عرض لم يصنه
ويرتع منك في عرض مصون
ولنسمع إلى قوم نوح يتجهّمون عليه حين دعاهم إلى الله ، لتبّين في هؤلاء القوم ما بهم من قسوة وفضاضة وهم يحايجونه بقولهم : ﴿ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا ، وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّائِ الرَّأْيِ ، وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ ، بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ ⁽⁵⁶⁾

55 (نفس المصدر : ص 184 والآية من سورة يونس : 11 .

56 (سورة هود ، الآية : 27 .

أرأيتم لو أن أحدنا كان في منزلة من الجاه والحظوة فتلقى من قومه مثل هذه الشتائم ، أكان يملك أعصابه ويكظم غيظه مثل ما فعله سيدنا نوح - عليه السلام - وهو يجادل قومه بإحسان ويردّ عليهم بلين ولطافة ﴿ يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربّي ، وأتاني رحمة من عنده ، فعميت عليكم ، أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ، ويا قوم لا أسألكم عليه ما لا إن أجري إلا على الله ، وما أنا بطارد الذين ءامنوا إنهم ملاقو ربهم ، ولكن أراكم قوما تجهلون ، ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون ، ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ، ولا أقول إني ملك ، ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يوتيهم الله خيرا ، الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين ﴾ ⁽⁵⁷⁾ وهذا رسولنا محمد ﷺ يواجه أعتى الظلم وأقسى الشتائم من بني قومه ، فلايزداد إلا حملا ، ولا يطلب لهم من الله إلا هداية فيقول : « اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون » . وقد لا يتحمل أصحابه بعض التصرفات من أعراب جفاة يطلبون الرشد من رسول الله فيهمّون بضربهم أو قتلهم أحيانا غيرة على حرمة رسول الله ، ولكنه - وهو الكريم الحليم - كان ينهاهم عن ذلك ويواجه الموقف بما يليق بأخلاق النبوة من البرّ والإحسان والنبيل والشهامة . فقد روي أن أعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فأعطاه ثم قال له : أحسنت إليك ؟ قال الأعرابي : لا ولا أجملت . فغضب المسلمون وقاموا إليه ، فأشار إليهم أن كفّوا ، ثم قام ودخل منزله ، فأرسل إليه وزاده شيئا ، ثم قال له : أحسنت إليك ؟ قال : نعم . فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا . فقال له النبي : إنك قلت ماقلت ءانفا وفي نفس أصحابي من ذلك شيء ، فإن أحببت فقل بين أيديهم ماقلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك . قال : نعم . فلما كان الغد جاء فقال النبي : إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فرعم أنه رضي . أكذلك ؟

(57) سورة هود ، الآيات : من 28 إلى 31 .

قال : نعم . فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا . فقال رسول الله : مثلي ومثل هذا كمثل رجل له ناقة شردت عليه ، فأتبعها الناس فلم يزيدها إلا نفورا . فناداهم صاحبها فقال لهم : خلوا بيني وبين ناقتي ، فإنني أرفق بها منكم وأعلم . فتوجه لها بين يديها فأخذ من قمام الأرض ، فردّها حتى جاءت واستناخت ، وشدّ عليها رحلها واستوى عليها . وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار⁽⁵⁸⁾ أرايتم - أيها المؤمنون - كيف كان الرسول ﷺ يربّي أصحابه على فضائل الأخلاق تربية عملية ميدانية ؟ فهو النور الذي أضاء في أفقهم يقتبسون منه الضياء الذي نشره في ربوع العالمين . وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾⁽⁵⁹⁾ وهل نحن في حاجة إلى مزيد من الأمثلة بعد هذين النموذجين الرائعين من صفوة البشر ؟؟

فقد يحدثنا التاريخ عن رجال عاديين اشتهروا بالحلم والأناة ، أو بغير ذلك من الفضائل والمكرّمات ، ولكن أين هي ذؤابات الشموع من وهج المشكاة . وصدق الإمام البوصيري إذ يقول : وكل أي أتى الرسل الكرام بها فإنما إتصلت من نوره بهم وكلهم من رسول الله ملتمس غرّفا من البحر أو رشفا من الديم ربنا أتم لنا نورنا وأغفر لنا إنك على كل شيء قدير . اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين . والحمد لله رب العالمين .

الخطبة الثانية

الحمد لله العلي العظيم ، القائل في محكم كتابه الكريم . ﴿ ولو يعجل الله للناس الشرّ استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون ﴾⁽⁶⁰⁾ يلي للظالمين ويستدرجهم من حيث لا يعلمون .

58 (رواه الترمذي . 59) سورة الهائدة ، الآية : 15 و 16 . 60 (سورة يونس ، الآية : 11 .

نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله ، نصح الأمة فنعم الناصح الأمين ، ﷺ وعلى آله وصحابه أجمعين وبعد : فيأياها الإخوة المؤمنون ، من نعمة الله على الإنسان أن يرزقه أولادا صلحاء ، يكملون أنسه ويسندونه في البأساء والضراء ، ومن متعة حياته أن يجتمع حوله كثير من الأحباب والأصدقاء . يبادلونه البر والإحسان ، وينعشون أمله بالموّدة والصفاء . غير أن لأواء الحياة ومتاعها قد تنزع بين القلوب المتحابّة فتكدر الصفو وتفسد العلاقات ، وتؤدى - أحيانا - إلى القطيعة والملاحاة ، وإذا إفتقد الإنسان الصبر والحلم فى هذه الحالات ، فإنه يعرض حياته إلى كثير من المعضلات يقول الشاعر :⁽⁶¹⁾

إذا كنت فى كل الامور معاتبا صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه
ف عش واحدا أوصل أخاك فإنه مقارف ذنب مرة ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت ، وأي الناس تصفو مشاربه
وتشتد على الإنسان وطأة الملاحاة والقطيعة إذا كانت من ذوى رحمه ممن
يرجو نصرتهم وعونهم . وقديما قال الشاعر الجاهلى طرفة بن العبد
وظلم ذوى القربى أشدّ مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند
وفى كل حالة من هذه الأحوال فإن الإسلام يوصى بالعفو والصفح ، ويرتب
على ذلك أجرا عظيما . وربما يكون من أفلاذ كبذك - أيها الإنسان من يثقل
عليهم ظلك فيجازونك بالصدود والعقوق ، فما حيلتك فى مثل هذه الوضعية إن
لم تأخذهم بالصفح والعفو ؟ - يقول رب العزة ﴿ يأيها الذين ءامنوا إن من
أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم ، وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن
الله غفور رحيم ﴾⁽⁶²⁾ فإذا كانت ظروف الحياة قد تكشّر أنيابها على هذا
الإنسان - أحيانا - فتصفعه يده أو يؤتى من مأمنه ، فهل يطمع من غير ذويه
وأهله صفاء فى الموّدة وبقاء على الإخلاص والوفاء ؟؟

(61) هو بشار بن برد .

(62) سورة التغابن الآية : 14 .

فهؤلاء إخوة يوسف - عليه السلام - بعد أن أمعنوا في إذايته وأذاقوه صنوف العذاب من النفي والتشريد ، ثم جرّتهم الأقدار إلى عرشه في مصر عفاة متذلّين ، لم يحقد عليهم إذ جاؤوا إليه نادمين بل تجسّدت في يوسف - عليه السلام - شائِل النبوءة وهو في عزة ملكه حين قال لهم : ﴿ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ﴾ ⁽⁶³⁾ وهل أحسن مثلاً لتلك الأخلاق العالية من حياة رسول الله في ذلك الموقف الكريم أزاء قومه في ديارهم وقد دخلها عليهم عنوة ، وهم مشفقون على مصيرهم عندما سألهم : ماترون أني فاعل بكم ؟؟ فكان منه - عليه السلام - ذلك الجواب اللين الرحيم : اذهبوا فأنتم الطلقاء . فلا عجب أن يفعل هذا الحلم فعله في نفوس أولئك القوم ليجعل منهم أبطالاً مغاوير تعلو بجهادهم كلمة الله في الآفاق .

فلا يعتقدن أحد بأن هذا النوع من الحلم لا يقوى عليه الإنسان العادي لأن التاريخ يحدثنا عن نماذج في القمة ذاع صيتهم في هذا المجال ، وإنه ليسير على من يسره الله عليه . وهو لا يتأتى للنفوس الهزيلة التي تخضع لشهواتها ، والله يقول : ﴿ وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ ⁽⁶⁴⁾ جعلني الله وإياكم من الصابرين الشاكرين . اللهم إنا نعوذ بك من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها . ونعوذ بك من الكفر والفقر ، ومن مواقف الخزي في الدنيا والآخرة يا أرحم الراحمين ، والحمد لله رب العالمين .

(63) سورة يوسف الآية : 92 .

(64) سورة فصلت ، الآية : 35 .

ولا تقف ما ليس لك به علمٌ

الحمد لله الذي خلق الإنسان وكرّمه فجعله سميعا بصيرا وهداه السبيل إمّا شاكرا وإمّا كفورا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، نسبحه ونذكره ذكرا كثيرا . ونصلّي ونسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد : فيأيتها الإخوة المؤمنون : يقول الرسول - عليه السلام - في وصاياه الثلاث الأخيرة : وأن يكون نطقي ذكرا ، وصمتي فكرا ، ونظري عبدا . لقد لمسنا في الوصايا الست المتقدمة مدى حرص رسول الله في أن يرفع المؤمن إلى مستوى الكمال الإنساني الذي ينبع من أعماق الذات وهي مفعمة بنور الإيمان ، مطمئنة بهداية الرحمان ، تفيض على الجوارح رشدا وتضفي على حركاتها اعتدالا وإتزاناً ، وتولي في معاملاتها للناس برّاً وإحساناً . وبما أن هذا الجانب الخلقي في شخصية المؤمن لا يمكن أن يتركز في أغوار النفس إلا في إطار من العلم والمعرفة الواعية ، فإن الرسول الحكيم لم يغفل هذا الجانب الحساس من التفقه في الدين والعلم بحقائقه حتى لا تبقى باهتة متحجرة ، ولا تمارس طقوساً جوفاء ، لا تنير عقلا ولا توقظ وجدانا . فهاهو ذا ينبّه في وصاياه الأخيرة إلى ما يجب أن يكون عليه المؤمن من التفكير الواعي والنظر الحصيف ، ليسدّد أقواله ويصلح أعماله بما يرضي الله ربّه ليوافقه إلى الخير والصلاح وما أشقى هذا الإنسان ، وأذاقه الذلّ والحرمان إلا جهله المطبق بسنن الله في الحياة والكون ، وماتركه حبيس الخرافات والأوهام إلا إعراضه عن النظر والتأمل ، وبعده عن الإعتاظ والإعتبار . والإسلام دين لا تردهي قيّه ، ولا تتأصل مبادؤه إلا في محاضن العلم الطيبة ، ولا تدرك أسرارها إلا العقول الحصيفة . قال تعالى : ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، إنما يتذكر أولو الألباب ﴾ ⁽⁶⁵⁾ وما الفكر والذكر

(65) سورة الزمر ، الآية : 09 .

والإعتبار المشار إليها في الحديث الشريف إلا تسخير للحواس التي أنعم الله بها علينا من السمع والبصر والفؤاد ، لاكتساب العلم والمعرفة التي توصل إلى شكران المنعم وإدراك عظيمته وقدرته في منحنا هذه الخلقة السوية ، وإمтиازها عن سائر المخلوقات بتلك النفخة العلوية . قال تعالى : ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴾ ⁽⁶⁶⁾ وغير خاف عن الأذهان مدى حرص القرآن الكريم وإشادته بالعلم وأهله إلى ذلك الحد الذي يعتبر فيه العلماء ، ورثة الأنبياء ، ومداد أقلامهم عند الله بمنزلة دماء الشهداء . ولا غرو !... فأنني للفهم السقيم والعقل الكليل أن يدرك أسرار الكون والحياة ، وأنني لجهول أن يتبين عظمة الله في ملكوته ، أو أن يتعمق في أسرار شريعته ليتجاوب معها إيماننا وقناعة وسلوكنا... والرسول الكريم في دعوته إلى العلم والمعرفة يعطي من سلوكه الشخصي أروع الأمثال لأمتة ، وهو يستخر سمعه وبصره وفؤاده في ما خلقت لأجله . فلا ينطق لسانه إلا بذكر الله ، ولا يتحدث إلا لبيان شرع الله ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ ⁽⁶⁷⁾ على أن إدمان التفكير في جلال الله وعظيمته ليس بالأمر الهين على العالم أو الفيلسوف ، وهو يحاول أن يرتفع إلى الآفاق العلوية ويخرق الحواجز المادية ليسبح بنظره الثاقب وروحه الوهلي في الحضيرة القدسية والوجود اللامتناهي بعيدا عن صخب الدنيا ومفاتها ، فيؤثر الخلوات ، ويغرق في النظر والتأملات ، فلا تكاد تنفتح له الأبواب ، أو تستقيم له المسالك وتذلل الصعاب . أما رسول الله فله شأن آخر في سلوكاته إن تحرك أو سكن ، وإن إستيقظ أو نام ، وإن نطق أو صمت ، فتلك أحوال تعريه مثل ما يعترينا نحن ، ولكن شتان ما بين مظهرها ومخبرها .

وهل كان ضلال الذين كفروا إلا من سوء تقديرهم أن الرسل بشر مثلهم حين

66 (سورة النحل الآية : 78 .

67 (سورة النجم ، الآية 04 .

قالو : ﴿ إِن أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ، تَرِيدُونَ أَنْ تَصَدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ، فَاتُّونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ ⁽⁶⁸⁾ فكان الجواب الذي يردُّهم إلى الحقيقة والصواب : ﴿ إِن نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَعَلَى اللَّهِ فليتوكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ⁽⁶⁹⁾ يقول الأمام البوصيري في هذا المعنى :

أعياء الورى فهم معناه فليس يرى للقرب والبعد فيه غير منفحم فإن فضل رسول الله ليس له حدّ فيعرب عنه ناطق بضم كالشمس تظهر للعينين من بعد صغيرة وتكلّ الطرف من أمر فبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم وإلى أن يقول في ظاهرة الوحي مثثلة في شخصه الشريف

لا تنكر الوحي من رؤياه إن له قلباً إذا نمت العينان لم ينم ولعل من فيض نعمة الله على رسوله في إعدادة لأمانة الرسالة أن حبّ إليه تلك العزلة في غار حراء ، وسنّه تقترب من الكمال العقلي ليسرح في ملكوت الله بروحه المتفتحة ونظره الثاقب وهو يتهباً لحبر السماء .

ولئن كانت لظاهرة الوحي ميزة في تكوين شخصية رسول الله - وتلك منّة الله على من يشاء من عباده - فإن الخالق العظيم قد أقدر هذا الإنسان بما حباه من التكريم أن يرتقي إلى مصافّ الملائكة طهراً وتقاءً ، وإشراقاً وتجاوباً مع روح الوجود ، في التهليل والتسبيح لجلال المعبود . إذا ماسخّر طاقاته العقلية في النظر والتأمل ، وفي البحث - والإستقصاء طلباً للعلم ، لأنه الوسيلة المثلى لمعرفة الله ، والطريق المعبّد إلى الجنة بفضل الله يقول تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ⁽⁷⁰⁾ وجاء في الحديث الشريف « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً ، سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة » ⁽⁷¹⁾ اللهم نور بالعلم النافع أبصارنا ، وأثر بهدّاك بصائرنا ، وأشرح لدينك صدورنا ، وأجعل الجنة مأبناً ومصيرنا .

(69) سورة إبراهيم ، الآية : 11 .

(71) رواه مسلم .

(68) سورة إبراهيم ، الآية : 10 .

(70) سورة فاطر ، الآية : 28 .

الخطبة الثانية

الحمد لله الواحد القهار ومصّرف الأقدار . القائل في محكم كتابه : ﴿ فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾ . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونصلّي ونسلم على الرسول المختار سيّدنا محمد وعلى آله وأصحابه الأبرار . وبعد : فيأمة الإسلام من الملفت في الوصية الأخيرة لرسول الله - عليه السلام - ذلك النظر الحصيف لاستطاق الأحداث واستخلاص العبر ، لأن طبيعة الحياة وسنة الخليقة لا تعرف الرتبة في أحوالها ، فهي تتقلّب على المتناقضات ، وكثير من الناس ينظرون إلى الأحداث ، ولكنهم يذهلون عن أطوارها وتقلباتها . فليس بعيدا أن يفتن الآمنون ، ولا عجيبا أن يبتلى المؤمنون الصالحون . والله المدبر الحكيم لا يصرف الأحوال إلا بحكمة بالغّة قد لا ندرك سرّها إلا بعد حين . والناس يختلفون في تقديرهم للأشياء ، وبالتالي فهم يتفاوتون في الإعتبار والإدّكار .

وقد ضرب الله لذلك مثلا من القرآن الكريم وهو الرحمة والنور وهو الشفاء لما في الصدور . ولكن المستعین له لا يكونون على درجة واحدة في التجاوب معه والإعطاء بارشاداته فقال جلّ من قائل : ﴿ وإذا ما أنزلت سورة ، فمنهم من يقول : أيكم زادته هذه إيمانا ؟ فأما الذين ءامنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون ، وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون ﴾ ⁽⁷²⁾

يقول أحد الدعاة في هذا المعنى : والله تعالى لا يسوق الأحوال المختلفة على الناس إلا لحكم يتدبّرها العارفون ، فيزدادون بالله إيمانا وبلقائه يقينا : ﴿ يدبّر الأمر يفصل الآيات لعلكم بقاء ربكم توقنون ﴾ ⁽⁷³⁾ والسفهاء من الناس تمرّهم الأحوال الحسنة والسيئة فلا يستفيدون من اختلافها شيئا . وفي الحديث : « إن المنافق إذا مرض ثم أعفي كان كالبعير ، عقله أهله ثم

(72) سورة التوبة الآية : 124 ، 125 .

(73) الرعد الآية : 02 .

أرسلوه ، فلم يدر لم عقلوه ولم يدر لم أرسلوه » ⁽⁷⁴⁾ أجل فليس يؤمن من لم تهذبه التجارب وتقومه الأيام . وهل تعترض الألام الناس إلا ليتعلم بها الجاهل ويصحو الداهل ، ويثوب إلى الله من نأى عنه ؟؟ قال الله تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ، فلو لا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ، ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون ﴾ ⁽⁷⁵⁾ انتهى . ⁽⁷⁶⁾ وإنه لمن البلاءة في العقل والسفاهة في السلوك أن لا يتعظ الإنسان بقوارع الزمن ، ولا ينتبه للآيات والنذر ، حتى إذا مسته البأساء والضراء أخذ يندب حظه ويلعن الأقدار ، ناسيا أو متناسيا مدبر الأمور ومقلب الليل والنهار . وخلاصة القول : إن العلم والإيمان عنصران أساسيان في اكتمال شخصية الإنسان وبلوغها المستوى الأمثل في التمدن الحقيقي الذي يجعله منسجما مع الوجود ، خليقا بالخلافة التي حباها الخالق المعبود . وتلك هي فلسفة الإسلام في بناء الإيمان الراسخ والدين المتين . يقول تعالى : ﴿ قل انظروا ماذا في السموات والأرض ، وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ ⁽⁷⁷⁾ هدانا الله وإياكم إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هدام الله وأولئك هم أولو الألباب .

- والحمد لله رب العالمين -

(75) الانعام الآية : 41 و 42 .

(76) خلق المسلم للشيخ الغزالي ص 236 .

(77) سورة يونس الآية : 101 .

حرمة موتانا كحرمة أحيائنا

حمدا لله تباركت أسماؤه وتقدس صفاته ، خلق الإنسان فسوّاه ، ونفخ فيه من روحه ، وكرمه وفضله على كثير من خلق تفضيلا . نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وضع حياتنا سننا لا نجد لها تحويلا ولا تبديلا . ونصلّي ونسلم على أشرف خلق الله نبينا ورسولا . وعلى آله وأصحابه خير القرون وأشرفها رعيل . أما بعد : فيا أيها الإخوة المؤمنون ، يقول المولى تبارك وتعالى : ﴿ ولقد كرّمنا بني آdam وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا ﴾⁽⁷⁸⁾

لقد تضافرت نصوص القرآن في الإشادة بهذا الإنسان بدءا من قصة الخليقة وما جرى من حوار في الملا الأعلى بين الله وملائكته في شأن وجوده ومستقبله واستخلافه في الأرض ، وكيف خلقه الله فسوّاه ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له الملائكة الأبرار تكريما وتشريفا . وقد حباه الله علما وبيانا ، وسخر له ما في السموات وما في الأرض لينتفع من بركاتها بما يشاء ، وأرسل إليه رسلا مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط في هذه الحياة العاجلة ، وهي معبره إلى حيث الخلود والبقاء . وقد حدّد مصيره فيها بنفسه بعد الإختبار والإبتلاء . والإنسان في رحلته بين معاشه ومعهاده ، محفوف بنعم الله والطافه ، مغمور بفضله ورحمته ، ءامن وشكر ، أو جحد وكفر . يقول تعالى ﴿ وإذ قال إبراهيم ربّ اجعل هذا بلدا ءامنا وارزق أهله من الثمرات من ءامن منهم بالله واليوم الآخر ، قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطرّه إلى عذاب النار وبئس المصير ﴾⁽⁷⁹⁾ ويقول : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين ءامنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ﴾⁽⁸⁰⁾ . ذلك فضل الله على هذا الإنسان عامّة ، فكيف به إذا كان برّا تقيّا ، ومسلما حنيفا ؟

78 (الإسراء الآية : 70 .

79 (البقرة الآية : 126 .

80 (الأعراف الآية : 32 .

لا شك أن هذا التكريم يتضاعف ، ولا تزال مراتبها تعلو حتى تبلغ درجة الصديقين والشهداء والصالحين ، لمثل هذا فليعمل العاملون ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون . أيها المؤمنون : جاءت شريعة الله لتركيز مبدأ كرامة الإنسان ، وإبراز خيرية المسلم ، ولتجسيد ذلك في واقع الناس شرع الله أحكاماً وسنّ آداباً صبغها بصبغته وارتضاها منهاجاً متكاملًا لتنظيم شؤون خلقه في معاشهم ومعادهم . فمن أسلم وجهه لله والتزم بأحكام شريعته ، فهو لا يضلّ ولا يشقى ، ومن كفرو غوى ، فإن له معيشة ضنكا يقول تعالى : ﴿ فإِذَا يَأْتِيَنكُم مِّنِي هَدًى فَمَن أَتَّبِعْ هَدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ، وَمَن أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِن لَهُ مَعِيشَةٌ ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمًى ﴾ .⁽⁸¹⁾

وليس في منهج الله نقص أو خلل ، ولا في تطبيقه حرج أو ملل . وقد إمتنّ الله بإكمال دينه وإتمام نعمته ، وأنه لا يحملنا مالا طاقة لنا به . فكل حرج أو عنت نلاقه أحياناً في ممارساتنا اليومية ، فإننا نحن المتسببون فيه ونحن الساعون إليه إما جهلاً بأحكام الله ، أو تأويلاً فاسداً لنصوصها ، أو تعنتاً وعناداً لغرض دنيء ومصلحة عاجلة . ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا ، وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾⁽⁸²⁾ ومهما يحاول الإنسان أن يفتات على دين الله أو يحتال في التلصّص من تكاليفه وتبعاته ، فإنه لا يستطيع أن يغيّر من مثاليته ونصاعة حقه ، وكامل عدله . ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾⁽⁸³⁾ ﴿ إِنَّا نَحْنُ الذَّكْرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .⁽⁸⁴⁾

أيها الإخوة المؤمنون : لقد جاء في الأثر حرمة موتانا كحرمة أحيائنا . فإذا كان التعبير على القدر والحرمة لأي شخص منا له أساليبه وكيفياته في مآدرج الناس وفق أعرافهم وتقاليدهم ، فإن الاسلام لم يغفل هذا الجانب المهم في حياة

(81) طه الآية : 123 و 124 .

(82) يونس الآية : 44 .

(83) فصلت الآية : 42 .

(84) الحجر الآية : 09 .

الإنسان لإشباع الجانب النفسي فيه بما يتوق إليه من المكانة الإجتماعية والرقى الحضاري ، فكانت تلك الحقوق التي ينبغي للمسلم أن يراعيها في أخيه المسلم ، وهو حيّ يتقلب معه في أحضان المجتمع ويلقها الليل والنهار ، فكيف به وقد أصبح جثة هامة لا ينال من الأرض إلا عدة أشبار ، ليس فيها إلا التثنية والدود والتحلل والإندثار ؟؟ فهل من الكرامة أن نبقي على جيفته بين ظهرانينا تعافها الأنوف والأبصار ؟؟ كلا فلنستمع إلى رسول الله - عليه السلام - كيف يحرضنا على التعجيل بتجهيز الميت إذ يقول : « لا ينبغي أن تحبس جيفة مسلم بين ظهرائنا أهله » ويقول : « ثلاث لا يؤخرن : الصلاة إذا عانت ، والجنابة إذا حضرت ، والأثم إذا وجدت كفؤا » يعلق العلامة الشيخ السالمي على هذا الحديث فيقول : « والحديث يدل على مشروعية التعجيل بالميت والإسراع في تجهيزه ، وتشهد له أحاديث الإسراع بالجنابة والله أعلم » ⁽⁸⁵⁾ .

وفي التعبير بالجيفة حتى لجثة المسلم ما يشعر بعلّة الحكم في الإسراع بالجنابة والتعجيل بتجهيزها .

أيها المؤمنون لست في حاجة إلى الإطناب في ذكر مراسيم الجنابة وأداء حقها المشروع ، فإن ذلك معروف لدى كافة المسلمين وأنها تنحصر في الغسل والتكفين والصلاة والدفن ، وما يكتنف ذلك من الآداب عند الاحتضار وبعد الدفن . غير أن الذي يدعو إلى الإعجاب بأحكام هذا الدين الحنيف هو ذلك الإهتمام البالغ الذي أولاه الله لعبده المؤمن عندما يرجع إليه وهو يرجو لقاءه ، إذ أمر أن يكون على الصورة التي كان يتقرب بها إلى مولاه حيّا حين كان يقف بين يديه طاهرا خاشعا متذللا ، وقد أخذ زينته بلباسه وطيبه ، منفردا أو مع جماعة المؤمنين في بيت من بيوت الله ، في تلك الصورة الوقورة التي يقول عنها رسول الله : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » ⁽⁸⁶⁾ .

(85) ذكره الشيخ السالمي في مسند الإمام الربيع 02 ح ص 341 .

(86) رواه الربيع بن حبيب .

ولذا فإن المسلم لا تأخذ جثته الهامدة حكم الميتة في النجاسة ، وإن كانت آيلة إلى التحلل والفناء . فهل نجد أبلغ من هذا الإكرام في غير دين الإسلام ؟؟ وعلى ذلك التحريض في الإسراع بتجهيز الميت ، لم يغفل الإسلام بعض الحالات التي يشبه فيها على الناس تحقيق الوفاة ، كحالة الغرق ، أو الاختناق بغاز أو دخان أو ردم وما إليه ، فإنه ينتظر بالميت فترة من الزمن علّه يسترجع أنفاسه ، ويؤخذ من ذلك بشهادة الطبيب الثقة . أما غير ذلك من الدواعي والأسباب فهي لاغية لا اعتبار لها في تأخير التجهيز ، لأن الميت قد التحقت روحه ببارئها ، فهو أحق بها من أهله وذويه ، وانقطع حظه من الدنيا ، فلا مال ولا أهل ولا ولد ، ولا جاه ولا سلطان ، إلا ما يكون بعد ذلك من العذاب الشديد أو المغفرة والرضوان .

فاتقوا الله - أيها المؤمنون - والتزموا بأداب دينكم في معاشكم ومعادكم . فإن المؤمن الوفي هو الذي يجعل حياته ومماته لله رب العالمين . يقول تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ الْفَائِزُونَ ﴾ ⁽⁸⁷⁾ جعلنا الله وإياكم من المفلحين الفائزين .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يحيي ويميت ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . ونصلي ونسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين . وبعد : فيأمة الإسلام : أوصيكم ونفسي بتقوى الله العظيم ، وإتباع سنة نبيه الكريم ، فإن كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار . ولا شك أننا نعتر بأحكام شريعتنا ، ونؤمن بصلوحيتها لكل زمان ومكان .

(87) سورة النور الآية : 51 و 52 .

ومن الأدلة على ذلك تلك الأحكام التي استنبطها الأئمة المجتهدون من نقل الميت من بلد إلى بلد . فإن طابع اليسر والبساطة الذي تتنازبه شريعتنا ، أنها لا تقطع باب الإجتهد في الجري على سنن الحياة وفق تطوّر أحوالها واختلاف ظروفها ووسائلها . ولذلك جاءت آراء الفقهاء مختلفة بين التشديد والتيسير ، أو التوسط والإعتدال . فالذين حرّموا نقل الميت من مكان إلى مكان آخر أخذوا بالأصل في التعجيل والتجهيز ، ولكنهم استثنوا من ذلك أن يموت المسلم قرب مكة أو المدينة أو بيت المقدس . والذين أجازوه مطلقا اشترطوا في ذلك مراعاة مصلحة الميت مالم تنتهك حرمة بانفجاره أو تغييره . والذين توسّطوا قالوا بالكراهة إلا أن تكون المسافة قريبة .

أيها الإخوة : تلکم هي آراء الفقهاء باختصار في نقل الميت من بلد إلى بلد . ومشائخنا - رحمهم الله - أميل إلى الحرمة منهم إلى الكراهة في نقل الميت مالم تكن هناك ضرورة ، ويدلّ على ذلك ما درج عليه أسلافنا من امتلاكهم لقطعة أرض يتخذونها مقبرة لموتاهم حيثما كان لهم وجود واستقرار . فبالبنا نترك تلك المقابر للإهمال ونركب الإخطار في نقل موتانا غير آبهين بإذيتهم وهم ينتظرون منا أن نعبّل بهم إلى دار القرار . ليستريحوا إلى جوار ربهم وتلقاهم الملائكة طيِّبين . ونحن إذ نقوم بأداء حقوقهم ندعو لهم بالرحمة والمغفرة والرضوان ، ويعزّي بعضنا بعضا في فقدانهم بالصبر والسلوان .

فما أعظم هذا الدين ويا ويح من حاد عن منهجه جريا مع الغاوين ، أو إرضاء لعاطفة لم تهذب بخلق ولا دين .

ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

اللهم آلف بين قلوبنا ، وأصلح ذات بيننا ، وألهمنا سبل رشدنا ، ووفقنا لصالح أعمالنا ، وأخرجنا من الظلمات إلى النور ، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، واجعلنا من المخلصين في السرّ والعلن ، والحمد لله رب العالمين .

القرآن ومسؤولية الأمانة

سبحان الذي خلق الإنسان وحمله مسؤولية الأمانة فحملها وكان ظلوما جهولا ، ثم أقام عليه الحجة في التكليف إذ بعث إليه بشرا رسولا . نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله القائل : « لا إيمان لمن لا أمانة له » ⁽⁸⁸⁾ ﷺ وعلى آله وصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد : فيأيتها الإخوة المؤمنون . لقد نوّه القرآن الكريم بشأن الأمانة في كثير من الآيات وحثّ على رعايتها وصيانتها في مواطن كثيرة ، ووصف بها أكرم خلق الله من ملائكته ورسله وأوليائه . ذلك لأن الأمانة فضيلة خلقية تتركز على الطهر النفسي والنقاء الروحي ، وتنبت دوافعها عن يقظة الضمير وخشيته لله ، وإيمانه العميق بمراقبة الله ، وأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

والقرآن الكريم لا يعرض الأمانة في صورتها الضيقة التي يتصورها بعض الناس ، إذ يحرصونها في الودائع وما إلى ذلك . بل يصورها تصويرا بليغا في ثقل وزنها وفداحة مسؤوليتها ، ليوّسع من مدلولها في مطالب الإيمان وتبعات العقيدة ، فنقرأ في سورة الأحزاب ذلك التضخيم المهلول لثقل الأمانة التي لا يقوى عليها الضعاف المهازيل . وقد كشفت السورة الكريمة عن بعض مواقفهم المخزية عند ما ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا فقال جلّ من قائل : ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان ، إنه كان ظلوما جهولا ﴾ ⁽⁸⁹⁾ . يقول السيد قطب - رحمه الله - في تفسير هذه الآية الكريمة : « إنها أمانة ضخمة حملها هذا المخلوق الصغير الحجم ، القليل القوة ، الضعيف الحول المحدود العمر ، الذي تناوشه الشهوات والنزعات والميول والأطماع . وإنها لمخاطرة أن يأخذ على عاتقه هذه التبعة الثقيلة ، ومن ثم كان ظلوما لنفسه جهولا لطاقته .

(88) رواه البخاري .

(89) الأحزاب الآية : 72 .

هذا بالقياس إلى ضخامة مازجّ بنفسه لحمله . فأما حين ينهض بالتبعة ، حين يصل إلى المعرفة الواصلة إلى بارئه والإهتداء المباشر لنا موسى ، والطاعة الكاملة لإرادة ربّه : المعرفة والإهتداء والطاعة التي تصل في طبيعتها وفي آثارها إلى مثل ماوصلت إليه من سهولة ويسر وكال ، في السماوات والأرض والجبال : تلك الخلائق التي تعرف مباشرة ، وتهتدى مباشرة ، وتطيع مباشرة ولا تحول بينها وبين بارئها وناموسه وإرادته الحوائل ، ولا تقعد بها المشبطات عن الانقياد والطاعة والأداء . حين يصل الإنسان إلى هذه الدرجة ، وهو واع مدرك مريد ، فإنه يصل حقا إلى مقام كريم ، ومكان بين خلق الله فريد « انتهى (90)

أجل - أيها المؤمنون - ليس عسيرا على هذا الإنسان أن يصعد على مدارج الكمال ، وأن ينفذ إلى أقطار السماوات ويتحدى الرواسي من الجبال ، إذا صحّ منه العزم واستنار قلبه بنور الله . فإن أمانة التكليف لا تثقل كاهله ولديه من الطاقة الإيمانية والمدد الروحاني مايطوى به المسافات ويستخفّ الأثقال . وإذا كانت الأشياء تتميز بضدّها ، فإن الرسول الكريم - وهو الصادق الأمين قد حذر أمته من تضييع الأمانة ، وأنذر الخائنين لها من سوء العواقب في تصوير بليغ حين اعتبر ضياع الأمانة أداة لتخريب العمران البشري في أبشع صورة تتعرّض لها المجتمعات البشرية ، حتى لكأنه قيام الساعة . فقد روى الإمام البخاري : أن رجلا جاء يسأل رسول الله : متى تقوم الساعة ؟ فقال له : إذا ضيّعت الأمانة فانتظر الساعة . فقال الرجل : وكيف إضاعتها ؟ قال : إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة « صدق رسول الله . وهل من وضعية أخزى للأمة من أن يصبح أبناؤها يتعاملون بالغش والخيانة والخداع ؟ وهل أردى لها من أن تهمل فيها الكفاءات ويبجل سقط المتاع ؟ إن مثل هذه الأوضاع المزرية التي نبّه لها رسول الله لسنا عنها بمنجاة ، ونحن نعيش في

بلادنا أزمة خانقة حيرت ذوي الألباب ، ولا يكادون يجدون مسلكا للخروج منها في غياب الوازع الديني والوطني ، وفقدان الصدق والأمانة . وهيهات أن تتخلف سنن الله ، فنطمع أن يرحمنا ربنا ويغيّر من أحوالنا ، ونحن لا نوقّي بعده ولا نحافظ على أمانته ، بعدما مكّن لنا في أرضه وحبانا بنصره ، جزاء ما قدم شهداؤنا الأبرار من تضحيات . وقد حباهم الله من فضله ، إذ لم يشاهدوا ما أصبحت عليه أوضاعنا من شرّ وفساد . - إذن - لتبرأوا منا وطلبوا من الله العودة إلى الجهاد والاستشهاد .

أيها الاخوة المؤمنون: يقول المولى تبارك وتعالى : ﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض ، فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾⁽⁹¹⁾ نعم لكم كانت أحكام الأقدار قاسية على الأمة الإسلامية أيام ضموها وتمزقها ولكم كانت ضربات الأعداء موجعة وهم يأخذونها من أطرافها وهي لا تكاد تصون حرمة ولا ترعى ذمما . ففي تلك الظلمات المطبقة ، وفي تلك القعقعات المصمّة يلوح بارق الأمل ، ويرتفع صوت النجدة من فيلسوف الإسلام وموقظ أمتة السيد جمال الدين الأفغاني - رحمه الله - منوها بشأن الأمانة وضرورتها لحياة الأمة فيقول : « من المعلوم الجلي أن بقاء النوع الإنساني قائم بالمعاملات والمعاوضات في منافع الأعمال ، وروح المعاملة والمعاوضة إنما هي الأمانة . فإن فسدت الأمانة بين المتعاملين بطلت صلات المعاملة وانبرت حبال المعاوضة ، فاختل نظام المعيشة ، وأفضى ذلك بنوع الإنسان إلى الفناء العاجل . ثم من البين أن الأمم في رفاهتها والشعوب في راحتها وانتظام أمر معيشتها محتاجة إلى الحكومة بأي أنواعها : جمهورية ، أو ملكية مشروطة ، أو ملكية مقيدة . والحكومة في أي صورها لا تقوم إلا برجال ، يلون ضروبا من الأعمال » . وبعد سرد المهام التي يطّلع بها رجال الحكومة يقول : « وهذه الطبقات من رجال الحكومة الوالين على أعمالها ، إنما تؤدي كل طبقة منها عملها

(91) آل عمران الآية : 137 .

المنوط بها بحكم الأمانة ، فإن خزيت أمانة أولئك الرجال - وهم أركان الدولة - سقط بناء السلطة وسلب الأمن ، وراحت الراحة من بين الرعايا كافة ، وضاعت حقوق المحكومين ، وفشا فيهم القتل والتناهب ووعرت طرق التجارة وتفتحت عليهم أبواب الفقر والفاقة وخوت خزائن الحكومة ، وعميت على الدولة سبل النجاح . فإن ضربها أمر سدّت عليها نوافذ النجاة « انتهى ⁽⁹²⁾ لله درّ هذا الفيلسوف الحكيم ، إذ أدرك بنظره الثاقب علل الفساد وعرف مكامن الداء . فصرخ صرخته المدوية التي اهتزت لها عروش الطواغيت . فسبحان الذي سخّر لهذا الدين رجالا يحدّدون أمره ويهدون الناس إلى سبيل الرشاد ، كلما طغى الباطل واستشرى الفساد . فاللهم اجعلنا هداة مهتدين ، لا ضالين ولا مضلين . - والحمد لله رب العالمين -

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله الصادق الأمين ﷺ وعلى آله وصحابه أجمعين وبعد :

فيأمة الإسلام ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتهم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعمًا يعظكم به ، إن الله كان سميعا بصيرا ﴾ ⁽⁹³⁾

يقول رسول الإسلام : « لن تزال أمتي على الفطرة مالم يتخذوا الأمانة مغنا ، والزكاة مغرما » ⁽⁹⁴⁾ لقد حكم رسول الله بالفطرة السلية لكل أمة تحافظ على الأمانة وتغفّ في حقوق الدماء والأموال والأعراض ، لأن ذلك من علامات الصحة والعافية التي تؤهل الأمة إلى العزة والتكين . فلنتبين - أيها الإخوة - حظنا من هذا الخلق المتين .

(93) النساء الآية : 58 .

(92) موسوعة أخلاق القرآن ج 02 ص 30 / 31 .

(94) رواه البخاري .

أما عن آباؤنا الأقدمين فقد طبقت شهرتهم الآفاق في الصدق والأمانة ، وهم يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله . ولا نزال نحن تنقياً لظلال ماتركوه لنا من رصيد حضاري في هذا المجال ينم عن مجد أثيل وشرف أصيل . فهل نحن اليوم على أثارهم مقتدون ولعهدهم راعون ؟؟ لا شك أن الكثير من أبائنا أخذت الأمانة تتسرب من قلوبهم لما ران عليها من الذنوب والآثام ، حتى أصبحنا نسمع من أخبارهم ما لا نكاد نصدقه ، إذ ليس من شينا طبع اللئام . ولن نرضى بالدينئة في سمعتنا بين الأنام . وإن كنا لا نزكي على الله أنفسنا ، غير أننا نخشى من هذه العدوى أن تنتشر إذا نحن أغضينا على القذى ، وتغلبت علينا العاطفة فنقصّر في العلاج والدواء . ولقد حذر رسول الله من تقلص الأمانة وتسربها من قلوب الرجال ، إن هم ركنوا إلى التسيب والإهمال . فقال : « ينام الرجل النومه فتنقبض الأمانة من قلبه ، فيظل أثرها مثل الوكت - هو الأثر المغاير كالنطقة على الصحيفة - ثم ينام الرجل النومه ، فتنقبض الأمانة من قلبه ، فيظل أثرها مثل أثر المجل - كالبثور التي تظهر في اليد من استخدام الأدوات الخشنة - ثم قال فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة ، حتى يقال : إن في بني فلان رجلاً أميناً ، وحتى يقال للرجل مأجلده ! مأظرفه ! ما عقله ! وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان » .⁽⁹⁵⁾

هكذا - أيها الإخوة المؤمنون - يكون مصير الأمة حين تسوء أحوالها بضياع الأمانة ، فانظروا في أي طريق نحن سائرون . وتداركوا مثل هذه العلل الإجتماعية بالعلاج والدواء ، لأن الحكماء يقولون من كتم داءه قتله . سدّد الله خطانا إلى ما فيه صلاح معاشنا ومعادنا ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً - والحمد لله رب العالمين - .

شهر له شرفه وأسراره

سبحان الواحد القهار ، يخلق ما يشاء ويختار . وقد وضع للزمان ضوابط
فقدر الليل والنهار ، واصطفى من الأيام الجمعة ، ومن الليالي ليلة القدر ، ومن
الشهور رمضان . نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده
ورسوله القائل : « من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من
ذنبه » ⁽⁹⁶⁾ ﷺ وعلى آله وصحابه ومن اتبع هداهم إلى يوم الدين . أما بعد :
فيأيتها الإخوة المؤمنون : هاقد أهل علينا هلال رمضان ، وما أسرع ما عادت
الأيام ودرات دورة الفلك ونحن في حلبتها لاهثون ، نحمد الله تعالى أن مدَّ
أجالنا وأقدرنا على السير حتى انتهينا إلى هذا المعلم الزماني المبارك . وكـ
تقطعت أنفاس لمسابقين معنا ، فحملناهم على أكتافنا وواربناهم التراب . وإن
كنا قد بكيناهم وقتئذ فإن موكب الحياة يغذ السير إلى قدره المحتوم ، ولا
يتفرق بالحزين المكظوم . وقلما يشعر الإنسان بكرّ الليالي وتوالي الأيام بكل
ما تحمله من متناقضات ، وهو لا يكاد يتفرغ للتأمل الواعي في زحمة الحياة . سيما
ونحن في زمن يقول عنه رسول الله : « لا تقوم الساعة حتى يتقارب
الزمان ، فتكون السنة كالشهر ، والشهر كالجمعة وتكون الجمعة كالיום ،
ويكون اليوم كالساعة ، وتكون الساعة كالضربة بالنار » ⁽⁹⁷⁾

وليس التقارب في الزمان في التعبير النبوي أن تختصر الدورة الفلكية عما
كانت عليه يوم أن خلق الله السماوات والأرض ، ولكنه إشارة إلى الحالات
النفسية التي يصبح عليها الناس ، وقد أناخ عليهم الدهر بكل كلكه ، وأحكمت الدنيا
قبضتها على خناقهم ، فلا يكادون يلتقطون أنفاسهم حتى تزجر عليهم بسياطها
لمتابعة الركض والسبق ، لأن الأيام لا تحمل في طبيعتها الثابتة خيرا ولا شرا ، إذ
أنها في حيز الكون العظيم تستجيب لمشيئة خالقها بديع السماوات والأرض ،

(96) رواه أحمد وأصحاب السنن .

(97) رواه الترمذي .

وتتكمّل مع الحيّز المكاني في هذه الأرض التي جعلها الله مهّاداً طيّباً للبشرية ووطاء ذلولاً لثوّها ومتقلّبا ، ومستودعا آمناً لضمان أرزاقها . فالناس يتلقون الأيام وفق ما يعتلج في نفوسهم من حزن أو سرور ، ومن رضى أو سخط ، ثم يصفون عليها ما يغلب عليهم من تلك الحالات المتقلّبة ، - وهي من صنع أيديهم - فيقولون ظلماً وزوراً : هذا يوم سعد وهذا يوم نحس ، ثم يسبون ويلعنون ، أو يمدحون ويمدحون . وقد نبّه رسول الله ﷺ إلى هذا الخطأ الفاحش حين قال على لسان ربّه : « يُوْذِيْنِي ابْنُ آدَمَ يَسْبُ الدَّهْرَ ، وَأَنَا الدَّهْرُ ، بِيَدِي الْأَمْرُ ، أَقْلِبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ »⁽⁹⁸⁾

أيّها المؤمنون من رحمة الله بنا - معشر المسلمين - أن وضع لنا هذه المعالم الزمنية ، وميّزها بفضلها وبركاته لتكون لنا محطّات نرتدّ فيها بالطاقة الروحية ، وتنفّذ أجهزتنا بالرجوع إلى الذات ، لتحريك الوعي الداخلي حتى يستعدّ لتلقي الأنوار الربّانية والمدد الروحاني .

وليس من هذه المعالم المختارة أفضل منزلة ولا أعظم بركة عند الله من شهر رمضان . وحسبه شرفاً وقدرًا أن يتنزّل فيه القرآن ، وأن يتحقّق للمسلمين أعظم نصر في يوم الفرقان . يقول عنه رسول الله « قد جاءكم شهر مبارك ، افترض الله عليكم صيامه ، تفتّح فيه أبواب الجنة ، وتغلّق فيه أبواب الجحيم ، وتغلّ فيه الشياطين . فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم »⁽⁹⁹⁾

أجل - أيّها الإخوة - لقد ظلّمنا أنفسنا بالمعاصي والذنوب حتى انتهينا إلى الخط الأحمر ، ونزغ الشيطان بيننا ، إذ نسينا أنه عدونا الأكبر . فهاهو ذا شهر رمضان المبارك جاء بالسلاسل ليغلّ الشيطان وأعوانه . وربنا ينادينا ليغدق علينا فضله وإحسانه ، وهو يفتح لنا أبواب جنّاته ويمنحنا رضوانه . فأي مخدول يرغب عن هذه المكّمة الروحانية ؟ وأي محروم يرفض هذه الهدية الربّانية . ألا فيلّسرّع المتقّون إلى مأدبة الرحمان ، ولينبّه الغافلون قبل فوات الأوان . ما أبلغ ما قاله أحد الكتّاب الإسلاميين في معني الأعياد الإسلامية قال : ليس العيد إلا إشعار هذه الأمة بأن فيها قوة تغيير الأيام ، لا إشعارها بأن الأيام تتغيّر .

98 () رواه أبو داود .

99 () رواه أحمد والنسائي والبيهقي .

وليس العيد للأمة إلا يوماً تفرض فيه جمال نظامها الإجتماعي ، فيكون يوم الشعور الواحد في نفوس الجميع ، والكلمة الواحدة في ألسنه الجميع . يوم الشعور بالقدرة على تغيير الأيام ، لا القدرة على تغيير الشيا ⁽¹⁰⁰⁾ انتهى .
نعم أيها الإخوة المؤمنون - لا شك أننا مستعدون للإنتفاع بهذه البركات ، والتعرض إلى هذه النفحات . فيالها من أيام معدودات تفيض بالخير والرحمة ، وتزهو بالذكر والعبادة ، وتروق بالتعاطف والليناس . أيام أولها رحمة ، وأوسطها مغفرة ، وءاخرها عتق من النار . فطوبى لعبد استجاب لله والتس بصومه وقيامه رضاه . واتقى شح نفسه فجاد على الفقراء والمساكين بما أتاه الله . فقد روى ابن عباس - رضي الله عنها - قال : كان رسول الله - عليه السلام - أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل . وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان ، فيدارسه القرآن . فرسول الله - أجود بالخير من الريح المرسلة ⁽¹⁰¹⁾ فأروا الله - أيها المؤمنون - من أنفسكم ماتلتسون به رضوان الله ، بأخلاصكم واجتهادكم في العبادة والذكر ، وتنافسكم في الإحسان والبر ، اللهم أنعم علينا بالثواب والأجر وأدقنا حلاوة الإيمان وبرد اليقين وضياء الصبر .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أتم علينا نعمته بإكمال الدين ، وارضى الإسلام لجميع العالمين . نحمده ونستعينه ونتوب إليه ونستغفره ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله . ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد : فيأمة الاسلام . لقد كتب الله علينا الصيام كما كتبه على الذين من قبلنا

(100) هو الاستاذ مصطفى صادق الرافعي : وحي القلم ج 01 ص 35 .

(101) رواه البخارى .

فقال جلّ من قائل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ إلى إن قال : ﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .⁽¹⁰²⁾

فأية بركة وأي نفع تحمله كلمة « خير » في هذا التعبير الإلهي النديّ . فهما ادّعينا من العلم ، وحاولنا معرفة الحكمة من الصوم ، ومهما اختلفت نظرة العلماء وتعدّدت أبحاثهم في تناول مقاصد الصوم من الناحية الروحية والمادية ، أو الفردية والاجتماعية ، فستظل كلمة الخير هي الجامعة والشاملة لمعاني البرّ والتقوى ومعاني الرشد والصلاح في كل ما ينتظم شؤون معاشنا ومعادنا . والتأمل العلم في ذلك واجب أكيد ، لأن الله تعالى لا يعبد على جهل . وتلك هي معجزة القرآن في تناوله للحقائق العميقة الصالحة لكل زمان . والمناسبة لكل الأحوال ، يتناولها بألفاظ ذات المدلول الشامل ، ليأخذ منها العلماء ما يناسبهم من المعاني التي يجلونها لوقتها ، حتى لكأن القرآن نزل لتلك الحادثة المستجدة . وبشيء من التدبّر الواعي لآيات الصوم في سورة البقرة نجد تلك الرجاءات الحكيمة تتخلّل ما شرعه الله تعالى من الأحكام في هذه العبادة القديمة . ففي الأمر بالصوم على اعتباره عبادة فرضتها كل الديانات السابقة ، ليس للمؤمن إلا صفة التقوى في خضوعه وامتناله لأمر الله فقال تعالى : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ . وبعد تفصيل الأحكام في كيفية القيام بهذه العبادة وماتّسم به من السهولة واليسر في مراعاة كل الأحوال التي قد تنتاب الإنسان رخصة من الله ورحمة بعباده ناسب أن يأتي التذكير بشكر المنعم ، ولا يؤدي المؤمن هذا الشكر إلا بحسن تطبيقه لما ورد في تلك الأحكام التي جاء بعدها قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ وبعد القراغ من العبادة التي لا تكتمل إلا بإخلاص التوجّه لجلال المعبود في خضوع وتذلل وإجلال يرفع المؤمن حاجاته إلى الله متبتلا داعيا ، وقد تفتحت له أبواب السماء ، وصار من قرب المنزلة عند الله ما يضمن له استجابة الدعاء . فتأتي في التعبير القرآني كلمة الرشد بكل ما تحمله من معاني الفوز والسداد والتوفيق

للمؤمن الكريم ، أن هداه الله إلى صراطه المستقيم فقال تعالى : ﴿ فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾⁽¹⁰³⁾ وهل بعد هذه الوعود الكريمة من الله البرّ الرحيم أدنى شك أو تردّد في فضل هذه العبادة ومنزلتها عند الله ؟ إلا فليحذر المتوانون وليقصر المفتونون الغاؤون فقد روي عن رسول الله أنه قال : « في رمضان تغلق أبواب النار ، وتفتح أبواب الجنة وتُصفّد فيه الشياطين » قال : « وينادي فيه ملك : يا باغي الخير أبق ، ويا باغي الشر أقصر حتى ينقضي رمضان »⁽¹⁰⁴⁾

اللهم إليك نشكو قساوة قلوبنا فآلئها ، وطول آمالنا فحققها ، وكثرة ذنوبنا فاغفرها ، فنعم المشكوّأت . أرحم ضعفنا وارحم تضرّعنا ، وأعطنا لمسكتتنا ، ولا تحرمنا لقلة شكرنا ، واغفر لنا ما قدمنا وأخرنا وأسررنا وأعلنّا وما أنت أعلم به منا إنك على كل شيء قدير والحمد لله رب العالمين .

103 (سورة البقرة الآية : 126 .

104 (رواه أحمد والنسائي .

مأسعد يوم الجائزة !

الله أكبر (سبع مرات) الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا . نحمده حمد الشاكرين ، وتضرع إليه خاشعين ، ونرجوه أن يوفينا أجر الصابرين ، ونسأله أن يتقبل منا صلاتنا وقيامنا وكل عمل تقربنا به إليه في موسم الفضل والرحمات . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن سيدنا محمدا عبده ورسوله قدوتنا في المكرمات والصلحات . ﷺ وعلى آله وصحابه أولى العلا والدرجات . أما بعد : فيأيتها الإخوة المؤمنون : هانحن في يوم الفرحة الكبرى ، وقد أفطرنا فيه بإذن الله واسترجعنا حريتنا في إشباع رغباتنا الشخصية بعد أن أسلمناها للمولى تبارك وتعالى مختارين راضين ، وامتنلنا أمره بالصوم طائعين . وهل يرضى المؤمن من أحد غير الله أن يسلب حريته ويقيد رغبته في أطايب الحياة والتمتع بزينتها ؟؟ كلا فإن الحرية حق مقدس عزيز لا يضحي به الإنسان إلا في ما هو أعز وأغلى ، وذلك هو حب الله ورجاء مغفرته ورضوانه يقول المولى تبارك وتعالى : ﴿ والذين ءامنوا أشد حبا لله ﴾ ⁽¹⁰⁵⁾ ويقول : ﴿ ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم ﴾ ⁽¹⁰⁶⁾ .

الله أكبر ، الله أكبر : وأية فرحة هي أروح على النفس وأندى على القلب من ذلك الشعور بالطمأنينة ، والإحساس بالرضى عند حسن القيام بالواجب ، وقد بذل الإنسان فيه جهدا مشكورا طاعة لمولاه ، واثقا من مغفرته ورضاه ؟؟ حقا لقد كانت رحلة روحية عشناها في رحاب هذا الشهر الكريم ، ذقنا فيه حلاوة الإيمان ، وتفيأنا ظلال القرآن وتدرينا كيف نتعامل بالبر والإحسان ، إذ شعرنا فيه بقساوة الحرمان . وتعلمنا كيف يمكن أن نتجرد عن أنانيتنا ونكفكف من غلواء كبريائنا ، فإذا الكل في كنف الله متحابون ، وفي طاعته متعاونون ، وإلى فعل الخيرات متسابقون . فطوبى لمن حافظ على هذا الزاد الروحي لينفق

106 (سورة التوبة ، الآية : 72 .

105 (البقرة ، الآية : 165 .

منه في رحلته السنوية ، وهو يغذّ السير إلى النهاية التي قدرها الله له فلا يشكو شمساً ولا زمهريراً .

وهل رمضان في المقصد الشرعي إلا تجربة إنسانية تبرهن لنا عن مدى طاقتنا للسموّ الروحي والذكاء النفسي إذا صحّ منا العزم وتوجهت إرادتنا إلى التطهير الذاتي والتغيير الشخصي ليصبح كل فرد منا متجاوباً مع روح الوجود ، الذي يسبّح بعظمة الخالق المعبود .

ولعلّ هذه القيمة الروحية هي التي أشار إليها رسول الله ﷺ في حديث يوم الجائزة الذي يعلن عنه في الملا الأعلى إذ يقول : « إذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق فنادوا : أغدوا يامعشر المسلمين إلى رب كريم ، يمن بالخير ، ثم يثيب على الجزيل فقد أمرتم بقيام الليل فقمتم ، وأمرتم بصيام النهار فصمتم وأطعتم ربكم . فإذا صلوا نادى مناد : ألا إن ربكم قد غفر لكم ، فارجعوا إلى رحالكم . فهذا يوم الجائزة ويسمى ذلك اليوم في السماء يوم الجائزة » .⁽¹⁰⁷⁾

أجل ! ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً ﴾⁽¹⁰⁸⁾ فهنئاً لنا جميعاً بهذه الجائزة السنوية من ربّ العالمين ، وهو يباهي بنا ملائكته المقربين . وهل العيد في معناه الاجتماعي إلا يوم المحبة والصفاء ، ويوم الساحة والسخاء ، ويوم السعادة والهناء . وهو كما قال أحد الكتاب الاسلاميين : « جاء يوم العيد . يوم الخروج من الزمن إلى زمن وحده لا يستمرّ أكثر من يوم . زمن قصير ظريف ضاحك ، تفرضه الأديان على الناس ، ليكون لهم بين الحين والحين يوم طبعي في هذه الحياة التي انتقلت عن طبيعتها . يوم السلام والبشر والضحك ، والوفاء والإخاء ، وقول الإنسان للإنسان : « كل عام وأنتم بخير » يوم الثياب الجديدة على الكل إشعاراً لهم بأن الوجه الإنساني جديد في هذا اليوم . يوم الزينة التي لا يراد منها إلا

(107) رواه الطبراني .

(108) النساء الآية : 40 .

إظهار أثرها على النفس ليكون الناس جميعا في يوم حبّ . يوم تعمّ فيه الناس ألفاظ الدعاء والتهنئة مرتفعة بقوة إلهية فوق منازعات الحياة . ذلك اليوم الذي نظر فيه الإنسان إلى نفسه نظرة تلمح السعادة ، وإلى أهله نظرة تبصر الإعزاز ، وإلى داره نظرة تدرك الجلال ، وإلى الناس نظرة ترى الصداقة ، ومن كل هذه النظرات تستوى له النظرة الجميلة إلى الحياة والعالم ، فتبتهج نفسه بالعالم والحياة .» انتهى ⁽¹⁰⁹⁾

فأحوجنا - أيها الإخوة - إلى إدراك هذا البعد الاجتماعي لننفذ عنا غبار السير في الطريق اللاحب ، ونريح أعصابنا من مثيرات المعتزك الصاحب ، بعد أن تصالحنا مع أنفسنا ومع خالقنا في شهر كامل بحسن قيامنا بالواجب . فبشرى لعبد تطهر من أدرانها ، وطوبى لقلب تخلّى عن أشجانه ، واستراح من همومه وأحزانه ، وتعرّض في هذا اليوم الأغرّ لنفحات الله ورضوانه . فما أقلّ متاع الدنيا ، وما أسرع نضارتها إلى اليبس والجفاف ! والחסارة من بها فتن ، فتولى بغصة منها بعد أن ابتلى وامتنح . صدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا ﴾ ⁽¹¹⁰⁾

اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همّنا ولا مبلغ علمنا ، اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا . اللهم إنا نسألك الصحة في الجسد ، والصلاح في الولد ، والأمن في البلد ، والسعة في الأرزاق ، والوداعة في الأخلاق . يا خير المعطين ، ويا أكرم المسؤولين .

الخطبة الثانية

الله أكبر (خمس مرات) ونشهد أن لا إله إلا الله ذو الجلال والعظمة ، والعفو والرحمة . ونشهد أن محمدا عبده ورسوله . ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين .

109) هو المرحوم مصطفى صادق الرافعي من كتابه وحي القلم ج 01 .

110) الكهف ، الآية : 46 .

وبعد : فإن الرسول الرحيم الحريص على المؤمنين قد فرض زكاة الفطر صاعا بصاع النبي - عليه السلام - مما يعتبر قوتا للمسلم يخرج به قبل الصلاة عن نفسه وعن تلزمه نفقته . يقول ابن عباس - رضي الله عنها - « فرض رسول الله زكاة الفطر طهرة للصائم وطعمة للمساكين . من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة . ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات » ⁽¹¹¹⁾ فأعظم تعاليم الإسلام وهي تتسم بطابع الإنسانية الرحمة التي يعز عليها أن ترى أفرادا من مجتمعها مكسوفي البال تحت وطأة الحاجة ، في يوم تطمئن فيه النفوس ، وتشفى الصدور وتبتسم الشفاه . فأمر الرسول أن تتوج مبرة الصيام بهذه الصدقة التي هي طهرة للصائم ، ومظهر عملي للتضامن والتكافل في المجتمع المسلم . فآية فرحة تغمر قلوب المواطنين ، وهم يتبادلون التهاني ويتزاورون وآية سعادة ينعم بها أطفالنا وهم في أثوابهم الزاهية يرفلون ، وهداياهم السنوية يباهون ، يملأون الدروب بهجة وسرورا ، وتعبق جنباتها أريجاً وعبيراً . فليتنا - نحن الكبار - نتعلم منهم روح الطهر والنقاء ، ونحتلي من سذاجتهم وفطرتهم معنى المودة والإخاء . هؤلاء الأطفال الذين يقول عنهم أحد الكتاب : « هم السهولة قبل أن تتعقد ، قانعون يكتفون بالثمرة ، ولا يحاولون اقتلاع الشجرة التي تحملها ، ويعرفون كنه الحقيقة : وهي أن العبرة بروح النعمة لا بمقدارها . هؤلاء الحكماء الذين يشبه كل منهم آدم أول مجيئه إلى الدنيا حين لم تكن بين الأرض والسماء خليفة ثالثة معقدة من صنع الإنسان المتحضر ، حكمتهم العليا ، أن الفكر السامي هو جعل السرور فكراً وإظهاره في العمل ، وشعرهم البديع أن الجبال والحبُّ لئسا في شيء إلا في تجميل النفس وإظهارها عاشقة للفرح » انتهى . ⁽¹¹²⁾

وهل العيد في معناه الإجتماعي وسره الوجداني إلا التمثل لمرحلة الصبا والطفولة يعيشها كل منا في لحظات يتقمص فيها روح الطفل في طهره وزهوه وفرحه ، وإن أخذت عليه السنون وطوحت به الهموم والأحزان ؟؟ - فمن داخل

(111) رواه أبو داود وابن ماجة والدارقطني .

(112) مصطفى صادق الرافعي وحي العلم ج 02 ص 32 / 33 .

أنفسنا تنبع السعادة إذا استنارت بنور الإيمان ، ومنها تتأجج الهموم والأحزان
إن هي استسلمت للكفر والفسوق والعصيان .
اللهم حَبِّبْ إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا ، وكرّه إلينا الكفر والفسوق
والعصيان ، واجعلنا من الراشدين .

من البطن نكبة الإنسانية

الحمد لله الذي خلق في الأرض كل دابة وكفل لها رزقها ، وهو يعلم مستقرها ومستودعها . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحابه أجمعين . أما بعد : فيأيتها الإخوة المؤمنون : إن ديننا الحنيف عظيم في أحكامه ، حكيم في أنظمته وتشريعاته . ولا غرو فإنه لتنزيل رب العالمين ، وهو أعلم بمن خلق ، إذ شرع لهذا الإنسان ما يتلاءم مع طبيعته المتقلبة مع دوافعها المادية ونوازعها النفسية ، فكانت حاجته إلى الطعام والشراب من أقوى الغرائز التي تدفعه إلى المجاهدة والمغامرة أحيانا لإشباعها وترضيها . وهو في ذلك لا يكتفي بما يسد الرق ، ولكنه يتفنن في ضروب من المأكولات والمشروبات إلى حدّ التخمة ، ويعين في الإسراف إلى حدّ التبذير . وإذا تلهفت البطون إلى المزيد فإن سعار الشهوة يكسر الضوابط ويتعدّى الحدود . فيجد الشيطان في نفس ابن آدم مرتعه الخصب ، ويمدّ سلطانه على الجوارح والحواس ، فلا يبقى من العقل رقيب ولا من الضمير حسيب . ولذا يقول الرسول الكريم : « إن الشيطان يجري من بني آدم مجرى الدم في العروق فضيقوا مجاريه بالجوع »⁽¹¹³⁾ ويقول : « ماملا ابن آدم وعاء شرا من بطن »⁽¹¹⁴⁾ . وهل نجد في غير الصوم المفروض علينا من ربنا تعالى فرصة لكسر حدة الشهوة والتحكم في وجبات طعامنا ، فلا نتناول منها إلا بقدر محدود في وقت معين ، ونحن إذ نحسّ أحيانا بألم الجوع والعطش ندرك معاناة البائسين المحرومين ، فيكون ذلك باعثا لنا إلى البرّ بهم والإحسان إليهم ؛ ثم نذكر نعمة الله علينا إذ أمننا من خوف وأطعمنا من جوع ، يقول أحد الكتاب الاسلاميين : « الصوم فقر إجباري يراد به إشعار النفس الإنسانية بطريقة عملية واضحة كل الوضوح أن الحياة الصحيحة وراء الحياة لا فيها ، وأنها إنما تكون على أتمّها حين

(113) رواه الترمذي .

(114) رواه مسلم .

يتساوى الناس في الشعور لا حين يختلفون ، وحين يتعاطفون بإحساس الألم الواحد ، لا حين يتنازعون بإحساس الأهواء المتعددة . ولو حققت رأيت الناس لا يختلفون بعقولهم ولا بأنسابهم ولا بمراتبهم ولا بما ملكوا ، وإنما يختلفون ببطونهم وأحكام هذه البطون على العقل والعاطفة . فمن البطن نكبة الإنسانية . ومن ها هنا يتناولوه الصوم بالتهذيب والتأديب والتدريب ، ويجعل الناس فيه سواء ، ليس تجيعهم إلا شعور واحد وحسّ واحد وطبيعة واحدة ، وبهذا يضع الإنسانية كلها في حالة نفسية واحدة تتلبس بها النفس في مشارق الأرض ومغاربها . ويطلق في هذه الإنسانية كلها صوت الروح يعلم الرحمة ويدعو إليها «⁽¹¹⁵⁾

أيها الإخوة المؤمنون : إن الرسول الكريم ، وهو الرؤوف الرحيم بالمؤمنين كان في رمضان أجود الناس كالريح المرسلة كما وصفه ابن عباس . وهل كان يشبع هو وأصحابه وهو القائل : « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا فلا نشبع » بل كان - عليه السلام - يصل في صومه بين يومين وينهى أصحابه عن ذلك فيقول لهم : « لست كأحدكم ، إنني أبيت يطعمني ربي ويسقيني » . إنه التآلق الروحي على أشده ، وقد خفف الصوم من كثافة المادة فراحت الروح الشريفة ترفرف في الملكوت الأعلى تستطعم من أنواره وتستسقى . ولكن الرسول البشر وهو يطعم ويجوع لم تقتنه زينة الدنيا ، إذ ألقت بزینتها ومتاعها بين أحضانه بالفتح المبین ، ولم یغیر من وتيرة سلوكه في حياته الشخصية ولا في حياته العائلية ، سيما بعد أن لاقى بعض الحرج من أزواجه وهن يطمحن إلى ذلك التغير ، بل ظل الوحي الإلهي يشبهه على هذا النهج السوي قائلاً له : ﴿ ولا تمدن عينيك إلى مامتعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى ﴾⁽¹¹⁶⁾ .

فيا رسول الله من جواد كريم ، يجمل في العطاء ، ويرقّ حرمان البؤساء ،

(115) وحي القلم للرافعي ج ص 72 / 73 .

(116) طه ، الآية : 131 .

ولا يمنع رفره عن العفاة إذا كان فى ررضفهم ءءمة لءفن الله . فأفن نحن من هءه السفاسة الءكمفة فى إصلاء مءءعافنا وءء أنهكها الظلم والطغفان ولفها البؤس والءرمان ، وألبسها بنوها لباس الءل والهوان ؟ أم أن ساءفنا وكبراءنا لا ففرون فى رسول الله مثلهم الأعلى فى حسن سفاسته للأمة ، ومعاملفه للناس بالءق والءءل والرفمة ؟

ألا فءء طفف الكأس وبلغ السفل الرضى بإءءلال موازن العءل بفننا ءقأ اءاق الله بعضنا بأس بعض وءءق الله تعالى إء فقول : ﴿ وكأفن من قرفة عفف عن أمررفها ورسلف فءاسبفناها ءسابا شءفءا وعءبفناها عءابا نءرا ، فءاقت وبال أمرها ، وكان عاقبة أمرها ءسرا ﴾ ⁽¹¹⁷⁾ فهاهى ذى أبواب رءمة الله فففء فى شهر رمضان . ففأهل الءوء والإءسان لا فءءلوا بفصول أموالكم على ذوى الفقر والءرمان . فإءا كنم أنم فءءكون من الضائفة الاقفاءفة الفف أءءف بءناق البلاد ، فابال أولئك الضعاف المءاوفف من الأرامل والأفءام والمرضى والعءزة ؟ وءء نظر الله إلفهم بعفن الرءمة فى مافرعه من الكفارات والإطعام ، وفى مءال الفطوع بالصءقات مانسطفع أن نكفل به ءااءفهم إءا كنا من أهل الءوء والكرم اقءءاء برسول الله . وءلك هو ءافة البر الذى ءعانا إلفه ربنا فمهفءا لأءكام الصوم إء فقول تعالى : ﴿ لفس البرأن فولوا وءوءكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله والفوم الآخر والملائكة والءتاب والنبفئفن ، وآق الفال على ءبه ذوى القربى والففامى والمساكن وابن السبفل والسائلفن وفى الرقاب وأقام الصلاة وآق الزكاة ، والموفون بعءءهم إءا عاهءوا والصابرفن فى البأساء والضراء وءفن البأس . أولئك الءفن صءقوا وأولئك هم المءقفون ﴾ ⁽¹¹⁸⁾

اللهم إنا نعوذ بك من الشء والبءل ، ونعوذ بك من الهم والءزن ، ونعوذ بك من العءز والكلسل ، ونعوذ بك من ءلبة الءفن وءهر الرءال .

117 (سورة الطلاق ، الآية : 8 و 9 .

118 (سورة البقرة ، الآية : 177 .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي لا تضع عنده الودائع وإن كان مثقال ذرة . يثيب المحسن ويضاعف أجره . نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله القائل : « ردّوا السائل ولو بشق تمرة » ⁽¹¹⁹⁾ ﷺ وعلى آله وصحابه ومن أقتفى أثره . وبعد : فيأمة الإسلام : لقد كان في صحابة رسول الله أغنياء وفقراء . وتلك سنة الله في خلقه بالتقلب بين النعماء والضراء . فما اضطربت موازين العدل في ذلك المجتمع الفاضل ، ولا حقد الفقير على الغني لما ساد بينهم من التضامن والتكافل ، حتى امتدحهم الله بالتراحم والإيثار ، بفضل ما حققه رسول الله من التآخي بين المهاجرين والأنصار . فكان أغنياء الصحابة غاذج في القمة بما قدموه من أموالهم لتجهيز الجيوش الإسلامية ، أو لتوفير المؤن عند الضوائق والشدائد .

ففي سيرة الأصحاب من ذلك موعظة وذكرى لأغنيائنا لو أنهم كانوا يفقهون ، حبذا لو أنهم في تلك المجالات يتنافسون - إذن - لما شكت مؤسساتنا من ضعف مواردها ، ولا ضاع تراثنا في رفوف المكتبات وخزائنها . وإن من سوء التقدير ، بل ومن الإسراف والتبذير ، أن يشدّ أحدهم رحاله كل سنة للإعتار ، وقد لا يتكرّم على هذه المؤسسات بدرهم أو دينار .

وهل درى هؤلاء أن رسول الله - عليه السلام - لم يعتمر إلا أربع مرات وهو من الحرم قاب قوسين ، وبإستثناء عمرة الحديبية وعمرة القضاء تكون اثنتين ، وما ثبت عنه أنه اعتمر في السنة مرتين . وهل هؤلاء أحرص من رسول الله في طلب الثواب والأجر ؟ أم أنه التباهي والفخر ⁽¹²⁰⁾ فالله وحده هو العالم بالسرائر .

ونحن بهذه البيان لا نزهّد الناس عن الحجّ والإعتار ، ولكن يجب علينا

(119) رواه النسائي .

(120) يشير الخطيب إلى أولئك جعلوا من الحجّ والإعتار وسيلة الاتجار .

أن نقدر الأوضاع ونعرف كيف نستغل فضول أموالنا في ما يعود على أمتنا بالعز والتكين ، لأن الجهاد بالمال لا يقل شرفاً وأجراً عن الجهاد بالأنفس ، بل هو مقدم في بعض الحالات التي تصبح عليها الأمة عند الضوائق والشدائد . يقول تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصّٰدِقُونَ ﴾⁽¹²¹⁾

أيها الأخوة المؤمنون : إن المؤمن المخلص هو من باع نفسه لله ، واشترى بماله ونفسه نعيم الخلد فإن البر لا يبلى ، والأجر لا ينسى . وصدق رسول الله إذ يقول : « ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيته ، أو لبست فأبليت أو تصدقت فادخرت » . جعلني الله وإياكم من الأبرار المحسنين ، إنما يتقبل الله من المتقين . فاللهم ألف بين قلوبنا ، وأصلح ذات بيننا ، وألهمنا سبيل رشدنا ، ووقفنا لصالح أعمالنا ، وأخرجنا من الظلمات إلى النور ، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن . والحمد لله رب العالمين .

القرآن وحرب الإشاعة

الحمد لله العليّ القدير ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه . نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله القائل للذي سأله عن أفضل الناس فقال « كلّ مخموم القلب صدوق اللسان . فقيل : صدوق اللسان نعرفه ، فما مخموم القلب ؟ قال : هو التقي النقي ، لا إثم فيه ولا بغي ولا غلّ ولا حسد » ⁽¹²²⁾ صلى الله عليه وآله وعلى آله وصحابه أجمعين وبعد : فيأيتها الإخوة المؤمنون : لقد عرف الإنسان خطر الإشاعة وتأثيرها في النفوس منذ أن وجد المجتمع البشري وتدرّج في تنظيماته وتقاليده وعاداته . وقد اتخذ الناس أشكالا واخترعوا وسائل في ترويح الإشاعة وتسخيرها لتوجيه الرأي العامّ وجهة معيّنة تختلف في مقاصدها وأهدافها وفق المصالح المرجوة أو السياسات المقصودة .

ولا يلتزم مروّجو الإشاعات بموازين الأخلاق الحميدة ، ولا يراعون المثل ولا القيم الرشيدة . بل هم ميكافليون في تصرفاتهم على القاعدة المعروفة : الغاية تبرّر الوسيلة .

وليس أضّرّ على المجتمع من هذه الوضعية المتردية عندما لا يطمئن المواطن إلى ضمان حقوقه الشرعية في نفسه وماله وعرضه . ولقد اهتمت نصوص القرآن والسنة بهذه الظاهرة الإجتماعية الخطيرة ، فكشفت آثارها السلبية على وحدة الجماعة ، وبيّنت آثارها السيئة في أخلاقيات الفرد والمجتمع ، وماتزرعه من الشكوك والأوهام تجرّ حتّا إلى الوقيعة ، وتنتهي إلى الإنقسام والقطيعة .

وكم عانت الدعوات الإصلاحية على مرّ التاريخ البشري من حرب الإشاعة وهي تواجه قوى الكفر والظلم والطغيان وتحاول تغيير الأوضاع وتصحيح المفاهيم . وقد تحمّل رسل الله القسط الأعظم في تلك المعاناة ، وعرفوا بإرشاد الله كيف يتصدّون لها ويخففون من وطأتها في مسارهم الدعوي ، فهذا رسولنا

(122) رواه ابن ماجه .

الأكرم يمتن الله عليه بمأحاطه به من عناية ، ومايسر له من أسباب الرعاية ، فيقول جل من قائل : ﴿ ولو لا فضل الله عليك ورحمته هُمت طائفة منهم أن يضلوك ، وما يضلون إلا أنفسهم ، وما يضرونك من شيء ، وأنزله الله عليك الكتاب والحكمة ، وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما ﴾ ⁽¹²³⁾ ومن حكمة الإسلام في مواجهة هذه الظواهر الخطيرة أن ينتهج فيها أسلوب الوقاية فيكفل لكل مسلم حقه الشرعي في نفسه وماله وعرضه . يقول رسول الاسلام : « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » ⁽¹²⁴⁾ يكفل ذلك بالوازع الإيماني والوازع السلطاني وينهى عن كل مايتذرع به إلى النيل من هذه الحقوق . فكل فرد في المجتمع المسلم هو على البراءة الأصلية لا يهتم في دينه أخلاقا وسلوكا ما لم تبث عليه الخطيئة ثبوتا شرعيا لا لبس فيه . فسوء الظن بأخيك المسلم إثم كبير . قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين ءامنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ، إن بعض الظن إثم ﴾ ⁽¹²⁵⁾ . وأما الاقتراء على الأبرياء فتلك خسيصة تنم عن قلب مريض وحقد دفين يحتمل صاحبه بهتاناً وإثماً مبيناً قال الرسول لأصحابه : « أتدرون أربى الربا عند الله ؟ قالوا الله ورسوله أعلم . قال فإن أربى الربا عند الله استحلال عرض امرئ مسلم ثم قرأ : « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً » ⁽¹²⁶⁾ .

وكم حذر الرسول أمته من آفات اللسان ، وجعل من علامة الإيمان بالله واليوم الآخر أن يمسك المسلم لسانه ولا يقول إلا خيرا وقال : رب كلمة لا يابى لها صاحبها تلقى به سبعين خريفا في نار جهنم . ونهى أصحابه أن يبلغ أحد عنهم مايسوءه فقال : « لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا ، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر » ⁽¹²⁷⁾ أيها الإخوة المؤمنون : قد تستفحل جرثومة المرض عند ما تجدد المناخ الملائم ، فلا تجدى الوسائل الوقائية حين تلقى الإشاعات والأراجيف مجالا للذبوع والانتشار .

(123) النساء ، الآية : 113 . (124) رواه الشيخان . (125) الحجرات ، الآية : 12 .

(126) الحديث رواه أبو يعلى والآية من سورة الأحزاب ، الآية : 58 . (127) رواه أبو داود .

فما موقف الإسلام من هذه الظاهرة لدرء الأخطار؟؟ إنه محاولة التحصين للقلوب السليمة بحقن من الإيمان بالله وتمظيم لمقام الرسول . يقول المولى تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ، أَن تَصِيبُوا قَوْمًا بَهِلَالَةً فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ . وَاعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ، لَوْ يَطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ ﴾ ⁽¹²⁸⁾ فإذا كان ناقل الإشاعة فاسقا في حكم الله ، فما على المنقولة إليه إلا أن تبين ويتحرى عند سماعه الخبر حتى لا يشترك في عملية النقل والرواية ، وبذلك يتبعد عن وصمة الفسق ، ويتخذ بموقفه ذلك حاجزا لتيار الإشاعة حتى لا يأخذ مجراه في مسالك المجتمع .

أما إذا كان ضعيف الإيمان إمعة الشخصية ، فإنه سرعان ما ينخدع ويتأثر لتلك الإشاعة ، فينتقل من الظن والإحتمال إلى التحقق واليقين . وحينئذ يخوض مع الخائضين ، ويغدو من المرحفين . وحسب هؤلاء من وعيد الله قوله تعالى : ﴿ لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ، ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ، ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا ، سنة الله في الذين خلوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ ⁽¹²⁹⁾ وفي هذه الآية الكريمة يتضح الدور الفعال الذي يقوم على كاهل صاحب السلطة في ردع هذه الفئة التي ليس لها من هم إلا زرع الفتنة وإثارة الفلاقل وبث الشكوك والأوهام . لأن الأوصاف التي أضفاها الله تعالى على هؤلاء لا يمكن أن تجمع في قلب يؤمن بالله واليوم الآخر . وبالتالي فهم لا تنفعهم الموعظة ولا هم يذكرون . والمنفروض في المؤمن التقى أن يكون سليم القلب كريم النفس يتمنى الخير لجميع الناس ، ولا ييخل بإيصاله إليهم إن استطاع . أما الغويّ الحقود فإن لم يجد سبيلا أن يضرب بالناس فلا أقل من أن ينتحل ويزور ، ثم يشيع إفكه في الأوساط ، وبذلك يشفي غليله لتسكن ببلابه .

128 (الحجرات الآية : 6 و 7 .

129 (الأحزاب الآية : 61 و 62 .

وفي أمثال هؤلاء المرضى تنزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ
 الفاحشة في الذين ءامنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ، والله يعلم
 وأنتم لا تعلمون ﴾ ⁽¹³⁰⁾ اللهم طهر قلوبنا من الأحقاد ، واجعلنا من الصالحين
 نحب الخير والصالح للبلاد والعباد .

الخطبة الثانية

الحمد لله ، بمنّ على من يشاء من عباده ، ويهدي من يشاء إلى صراط
 مستقيم . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن سيدنا محمدًا عبده
 ورسوله . ﷺ وعلى آله وصحابه أجمعين . أما بعد : فيا أمة الإسلام . لقد
 ءثرنا الله بدين لو كنا ندرك روجه وأسراره ، ونطبق مبادئه وأحكامه لحبانا الله
 عزًا وفخرًا ، وبأننا في العالمين بمبوءاً صدق . فقد علّمنا الإسلام كيف نبني
 حضارتنا على أسس من الأخلاق المتينة ، لا يتخلخل معها بنيان ، ولا تؤثر
 عليها عوامل الزمان .

أيها المؤمنون إذا كانت الإشاعة تركز على انتحال الخبر واختلاقه ، فإن من
 الأنبياء ما ينبثق من الواقع المعيش في مختلف أطواره وأحواله ، والناس من
 طبعهم نزاعون إلى معرفة أحوال البلاد وأحوال العالم من حولهم في خيره وشره
 وفي سره وعسره . وتلك وضعية لا مفرّ منها وليس للناس فيها من بدّ . ولكن
 القرآن في إرشاداته الحكيمة يعلّمنا كيف نرعى حانا ونحفظ ذماره في حالتي
 الأمن والخوف ، فلا نشيع من الأخبار ما يعدّ من أسرار الأمة في احتياطات أمنها
 وخصوصيات نظامها . بل نكل ذلك إلى من يتولّى أمر المسلمين ويتحمّل
 مسؤولية قيادتهم . فهم الذين يقدرون لكل نبأ ميقاته في الزمان والمكان . فلا
 يشاع منه إلا بمقدار ما يرعى مصالح الأمة ويحفظها

يقول المولى تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ، وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ، وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَا تَبَعْتُمْ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ⁽¹³¹⁾ . فأين نلتس فضل الله ورحمته إن لم نلتسها في اتباع هدي القرآن وارشاداته الحكيمة ؟؟

وهبك - أيها المسلم - وقعت عينك على مسلم يقترف جريرة في استخفاء وحذر ، لا يجاهر بها ولا يتحدث شعور المجتمع ، فهل من المروءة والكرم والنبل أن تضيع خبره في الناس وتشهر أمره في المجامع ؟؟ كلا فليس ذلك من أخلاق الإسلام . فلنستع لتوجيهات رسول الله ﷺ في مثل هذه المواقف يقول - عليه السلام - « من علم من أخيه سيئة فسترها ستر الله عليه يوم القيامة » ⁽¹³²⁾ ويقول : « من ستر على مؤمن عورة فكأنما أحيأ مؤؤودة » ⁽¹³³⁾ يقول أحد الدعاة في هذا المعنى : « ومن فضل الله على العباد أنه استحبّ ستر عيوب الخلق ، ولو صدق اتصافهم بها . وما يجوز لمسلم أن يتشقى بالتشنيع على مسلم ولو ذكره بما فيه . فصاحب الصدر السليم يأسى لآلام العباد ويشتهي لهم العافية . أما التلهى بسرد الفضائح وكشف الستور وإبداء العورات فليس مسلك المسلم الحق » ⁽¹³⁴⁾ فاللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، وخفف لوعاتنا ، اللهم أجرنا على حسن عبادتك ، ووقفنا لا ستفتاح أبواب رحمتك واستعطار سباحتك . اللهم سلّمنا ولا تسلمنا ، وامنحنا ولا تمتحننا ، وأعنا ولا تعن علينا ، اللهم اجعلنا في ضمانك وأمانك وإحسانك يا أرحم الراحمين . والحمد لله رب العالمين .

(131) النساء الآية : 83 .

(132) (133) رواهما الطبراني .

(134) الغزالي من كتابه خلق المسلم ص 90 .

إنما يتذكر أولو الألباب

في ذكرى الإستقلال الوطني لسنة 1994

الحمد لله الذي جعل في آياته عبرة لأولي الألباب ، وألهم خلائقه في تنظيم حياتهم إلى اتباع السنن واتخاذ الأسباب . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن سيدنا محمدا عبده ورسوله . اللهم صلّ وسلّم وبارك عليه وعلى الآل والأصحاب . أما بعد : فيأيتها الإخوة المؤمنون : يقول المولى تبارك وتعالى : ﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ ⁽¹³⁵⁾ تجيء هذه الآية الكريمة خلال الآيات التي تفصل أحداث غزوة أحد من سورة آل عمران . وهي أحداث مفاجئة هزت الجعاعة الإسلامية وضربتها في الصميم . وحسبها بلاء وامتحانا ما أصاب رسول الله من الآلام والجراح ، وما منيت به من الهزيمة بعدما آتاها الله ماتحبه من الغلبة والنصر . وكانت هذه الصدمة الأليمة مثار جدل في صفوف المؤمنين وهم يحاولون تحليل ما وقع . ولم يدر في خلد الكثير منهم أن يصابوا بمثل ذلك وهم المؤمنون تحت قيادة رسول الله . وقد يذهل الإنسان في أيام محنته حين لا يدرك ماتاها ولا يهتدي لأسبابها إما بجهله وغفلته ، وإما لغروره وفتنته يقول الشاعر :

يغمى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسنا مالم يس بالحسن

فكانت هذه الآية الكريمة بمثابة المنبه القوي الذي أعاد الوعي ووضح الرؤية ، إذ أن الغفلة عن سنن الله في تصريف شؤون خلقه أو مراعاتها تترتب عنها النتائج الحتمية في تقرير مصائر الأمم وتحديد أوضاعها التاريخية . ولربّ تقمة تحمل في طياتها بذور الخير والصلاح إذا أحسن الإنسان استخلاص العبر والدروس منها ليوظفها في تغيير أوضاعه وتصحيح مساره .

أيها الإخوة : عشنا خلال هذا الأسبوع ذكرى الإستقلال الوطني لاثنتين

(135) آل عمران الآية : 137 .

وثلاثين حجة خلت من عمر أمتنا الفتية في ظل الحرية والإنتعاق . ومن حق الشعوب أن تعترف بأعجادها وتخلّد مآثرها ، كلما عاودتها أمثال هذه الذكريات في مسار الزمن الدائب ، وعلى تقلبات الدهرين المسّرات والمصائب . وليس بدعا في طبيعة الحياة أن تمتزج الأفراح بالأفراح . فإن دموع العين قد تكون لصاحبها قرّة أو غصّة وفق ما يختلج في أغوار نفسه ومكان وجدانه .

عشنا هذه الذكرى العظيمة ونحن نتنفس الهواء العفن في جو مغبرّ الأديم ، نشرب الماء الأسن من ينابيع لوّثتها الجراثيم ، حتى كدنا نفقد كل مناعة تقينا شرّ الوباء ، في غياب الطبيب الأريب وندرة الدواء فأشدّ وخزة الضمير ونحن نتذكّر تلك الأيام الغوالي وقد أسكرتنا فرحة النصر إلى حدّ العريضة والغثيان ، ولم نكن يومها تقدّر ما تحبّه لنا مفاجآت الزمان . ومهما يكن من أمر حاضرنّا فإن الفيئة الواعية من أبناء هذا الشعب الكريم ماتزال تكنّ لهذه الذكرى الغالية كل إخلاص ووفاء ، وتزيدها على مرّ الأيام نخوة وإباء ، وهي في كل حالة تتمثل بهذه الأبيات لشاعر الثورة مفدى زكرياء .

وطنى بروحي أفتديك ومهجتي ودمي الشريف مبرة ووفاء
عهد علي مدى الحياة مقدّس يذكى عروقي نخوة وإباء
وإذا الفتى لم يرع عهد بلاده فأقم عليه مآتما وعزاء
حسبي فخارا في الحياة بأنتى أغدو على وطني العزيز فداء
أيها الإخوة : كيف لانصدم ونحن نفجع في أعزّ ما نملكه من ذلك الرصيد الحضاري يوم كنا عمالقة الزمان نمتاز بكل ما تتطلبه كرامة الإنسان . وإلا فأين نحن اليوم من إخلق ذلك الجيل العظيم الذي فجر الثورة وقدم دماءه وأشلاء لها وقودا ، وليس له من الأمانى الغالية إلا أن يحيا عزيزا أو يموت شهيدا ؟؟
عجبا لهذا الإنسان كيف يغفل وينسى ، وويل له كيف يستكبر ويطفئ .
فما هو عذرنا عند الله وأمام الأجيال ، ونحن اليوم بسوء فعالنا على أحسن وضع وأسوأ حال ؟ تعاودنا هذه الذكرى وحمانا مهيبض الجناح ، وشعبنا حبيس الأوجاع مثخن بالجراح . وعند التحليل والتقدير تعظم محنته وبلواه ،

إذ أصابته بهذه اللطمة يده . فإذا قالت العرب قديما : « لا يغيظك دم أراقه أهله . فقد قال حكيمهم من قبل »⁽¹³⁶⁾

وظلم ذوى القربى أشدّ مضاضة - على المرء من وقع الحسام المهند .
ومهما اجتهد المحللون لأسباب الأزمة ، وكيفما برمج المسؤولون للخروج منها ، فإنهم لا يستطيعون أن يتحدّوا سنة الله تعالى في خلقه ، وأنه تعالى لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم . فإذا كانت سنة الله تعالى في عباده لم تتخلّف في غزوة أحد مع الرسول وأصحابه ، فكيف نطمع نحن أن تنقلب لدينا هذه السنن والآيات ؟ بدعوى أننا في أرض المعجزات . كلا - أيها الإخوة - فإذا كنا في حيرتنا تتساءل أنى يكون لنا هذا ؟؟ فقد سأل الأصحاب بمثل ذلك في محتهم فجاء الجواب الألهي الفاصل في قوله تعالى : ﴿ أو لمّا أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم . إن الله على كل شئ قدير ﴾⁽¹³⁷⁾ إذن فلات حين تردّد ولات حين مناص وصدق الذى قال :

وداؤك فيك وماتبصر
وداؤك منك وماتشعر
فلنستفت ضائرنا ولنراجع دخائل أنفسنا لنعرف مكامن الداء ، وسوف لا يعزّ علينا الدواء إذا صحّ منا العزم وصدقت النوايا . وذلك مانعته من نبل وشهامة في هذا الشعب العظيم . نرجو من الله العليّ القدير أن ينعّم علينا بلطفه ورحمته وأن يهدينا سواء السبيل .
اللهم رحمتك نرجو ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذى يوجب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السوء وهو اللطيف لما يشاء . لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء .

(136) هو طرفة بن العبد من أصحاب المعلقات .

(137) أَل عمران الآية : 165 .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه البرّة الأوفياء . وبعد : فيأيها الإخوة المؤمنون : من الأفيء لنا في هذه الوقفة التاريخية ونحن نضرع إلى الله ليكشف عنا السوء أن نعرف أسباب النصر وأسباب الهزيمة فإن لكل جواد كبوة ولكل سيف نبوة . فلا عجب أن عثرت بنا الأيام مادامت عزائمنا ثابتة وإيماننا راسخا بأن لنا من القدرة والإرادة ما يمكننا أن نغالب به صروف الزمن وتقلبات الدهر . والتغير الذي نشده لإصلاح أوضاعنا لا يرتكز إلا على أنفسنا ومدى قابليتها للخير والصالح إذا نحن رضاها على البرّ والتقوى ، وحملناها على الخلق الكريم والسلوك النظيف .

وليس بعامر بنيان قوم إذا أخلاقهم كانت خرابا
 وربنا تبارك وتعالى يعدنا بذلك فيقول : ﴿ إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم ، والله غفور رحيم ﴾ ⁽¹³⁸⁾ فلنتصالح مع أنفسنا بتطهيرها من القاذورات ، ولنتصالح مع الله بإتباع آياته البينات . عسانا أن نخرج من هذه الأزمة كما خرج أصحاب رسول الله من فجعة أحد وهم أقوى مايكونون إيماننا وبقينا في وعد الله وبنصره على أعدائهم ، وهم يتلقون هذه البشرى من ربهم الكريم : ﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين إن يمسسكم قرح ، فقد مسّ القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداؤها بين الناس ﴾ ⁽¹³⁹⁾ اللهم إنا نعوذ بك من القنوط واليأس ، ومن شرّ الوسواس الخناس ، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لىكونن من الخاسرين ، أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ، واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة يا أرحم الراحمين ، والحمد لله رب العالمين .

(138) سورة الأنفال الآية : 70 .

(139) آل عمران الآية : 139 و 140 .

الإنسان والعصر

الحمد لله خالق الإنسان ومقدّر الآجال والأعمار ، جاعلا من آياته إختلاف الليل والنهار . نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن سيدنا محمدا عبده ورسوله المختار ، صلى الله عليه وعلى آله وصحابه الأبرار .

أما بعد : فيأيتها الإخوة المؤمنون : يقول المولى تبارك وتعالى : ﴿ والعصر ، إن الإنسان لفي خسر ، إلا الذين ءامنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ . إن هذه السورة الكريمة في آياتها الثلاث تلخص وضعية الإنسان في هذا الوجود ، وهو متأرجح بين الريح والخسارة ، وفق ما يختاره لنفسه من مناهج الحق والخير أو الباطل والشرّ والعصر الذي أقسم الله به يحتمل من المعاني التي ذكرها المفسرون ما يتناسب مع وضعية الإنسان أيّا كانت تلك الإحتالات ضيقة أو واسعة .

ومن معاني العصر هذا الزمن الممتد من بدء الخليقة إلى نهايتها في حدودها التي قدّرها الله ولا يعلمها إلا هو . إنه المحضن التي يلفّ هذا الإنسان ، ويعدّه بالطاقة الحيوية في الفترة المحددة لأجله ، ثم يفصم عنها ليهمد في التراب إلى حين . وهو في تلك الرحلة الزمنية محكوم عليه أولا وفق المنهج الذي يختاره لنفسه ولحياته . وما أسرع مآقضي الأيام وتتوالى السنون ، والمرء بينها خيال سار ، لا يكاد يستريح أو يستروح حتى تلهب ظهره الشياطين ليغذ السير إلى قدره المحتوم . وهو الذي يعطي لحياته الطعم الذي يريده ليحني الركب أو الخسارة ، والله درّ المتنبّي إذ يقول :

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا	وعناهم من شأنه ما عانا
فتولوا بغصة كلهم منه	وان سرّ بعضهم أحيانا
ربما تحسن الصنيع لياليه	ولكن تكدر الإحسانا
كلما أنبت الزمان قناة	ركب المرء في القناة سنانا

أيها الإخوة هانحن نوشك أن نوّزع سنة من أعمارنا لنستقبل أول محرم من السنة الهجرية الخامسة عشرة بعد الأربعمئة والألف ، وقد أصبحت من أمسنا الدابر ، والأمس خطوة إلى الرسم . غير أن القليل منا أولئك الذين يققون عند هذه المعالم الزمنية ليقيموا مسيرة حياتهم . والله تعالى جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ، ويقول تعالى : ﴿ وهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق ، نفصل الآيات لقوم يعلمون ، إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون ﴾ ⁽¹⁴⁰⁾

فهلّا علمنا ذلك الحق الذي خلقنا الله من أجله أم أننا نرضى لأنفسنا الخيبة والخسر ، ونظل سادرين في غفلتنا ، وتوالى الأزمنة تطوى أعمارنا ، ونحن في تصورنا الساذج نحسب أن الدنيا متوقفة على الصورة التي تعجبنا وعند المحطة التي تروق لنا . وهاهو المولى تبارك وتعالى يرسم لنا طريق النجاة ، ويهديننا سبل النجاح ، وهي تتلخص في كلمات وجيزة توضح المبادئ السامية لهذا الدين الحنيف ، وهي تتمثل في العقيدة الصحيحة والعمل الصالح بالنسبة لحياة الإنسان الفردية وفي التعاون على البر والتناصح بالحق والصبر في حياته الإجتماعية . فإذا إلترم الإنسان هذا المسلك في حياته فإنه يعيش في رواق من أمن وسلام ، ويحقق لنفسه السعادة والهناء والنعيم الأبدي في دار الجزاء يقول تعالى : ﴿ فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبّع هداي فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ ⁽¹⁴¹⁾ وهكذا فإن الإسلام قد رسم التصورات الصحيحة لحقيقة الإنسان والحياة والكون ، إذ شرع لنا مسلك الرحلة ووضع معالمها ، ثم بين نوعية الزاد الذي يضمن الوصول إلى النهاية المثلى والمقصد النبيل . فالهذا الإنسان يتيه ويضل ويركب الأهوال والأخطار ؟ وماله يطلب الربح مما فيه الخسار ؟؟

140 (يونس الآية : 5 و 6 .

141 (طه الآية : 23 / 124 .

﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ﴾ ⁽¹⁴²⁾ نعم إنه الكفر والضلال حين يستكف الإنسان عن عبادة ربه ويركب هواه ، فإذا هو ينجي مما كسبت يده .

كلما أُنبت الزمان قناة ركب المرء في القناة سنانا
أيها المؤمنون : أنظروا حوالكم في رقعة هذه الأرض الضيقة ، فهل تشاهدون إلا مناظر الموت والدمار ، ومواقف الخزي والعار ، من أولئك الذين نصبوا أنفسهم حماة لحقوق الإنسان ورعاة للأمن والسلام ؟؟ وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ يأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبلا ودّوا ما عنتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ﴾ ⁽¹⁴³⁾ ويقول في شأن طائفة من أهل الكتاب . ﴿ كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين ﴾ ⁽¹⁴⁴⁾ فهل تكون لنا عبرة من أولئك الذين يبحثون عن حتفهم بظلفهم ، ويخربون بيوتهم بأيديهم ، ذلك لأنهم مخدوعون في انتماءاتهم ، مفتونون في أصالتهم وماتزال في دمائهم قابلية للإستعمار ، وفي أمزجتهم طواعية للظلم والإستعمار . وإلا فماذا دهانا - نحن الجزائريين - حتى نصاب برذاذ من هذه الفتنة العمياء ؟ وراجت بيننا المتاجرة بالأعراض والأموال والدماء ؟؟ ونحن الألى شربنا كأس العذاب والشقاء حتى الثمالة ، وأصبحت ثورتنا رمزا للبطولة والبسالة . ومن هذا الذي ذق بيننا عطر منثم فأصبحنا نتعادي ونتفاني ؟ أم أنه العرق الدسّاس ينازعنا من آثار عبس وذبيان ، حتى لكأن رسول الله لم يبعث فينا ولم يتنزل عليه القرآن . وصدق الشاعر إذ يقول :

يغمى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسنا مالىس بالحسن

142 (الكهف الآية: 103/104/105 . 143 (آل عمران الآية: 118 . 144 (الائدة الآية: 64 .

ليت شعري ماقيمة هذا الذى تتفانى من أجله؟؟ أهو لنصرة الدين وعزة الوطن؟؟ حبذا لو يكون ذلك مرادنا بصدق ووفاء ، ولكن ماهكذا تورد الإبل ياسعد ، لأن الرأي السديد والمنهج الرشيد ، لا نهتدي إليها من خلال النار والحديد . فترجو من الله العلي القدير أن يلهمنا سبل رشدنا ، وأن يكفيننا شرور الحاسدين ووسوسة الشياطين حتى نجعل حدًا لهذا التهاثر والتناحر ، وأن يوفقنا إلى صراطه المستقيم فنصبح بنعمته إخوانا وعلى الحق أعوانا ، إنه مولانا ونعم النصير .

الخطبة الثانية

الحمد لله ذي العرش المجيد ، ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد . نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن سيدنا محمد عبده ورسوله القائل فى دعائه المأثور : « اللهم يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » اللهم صلّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد : فيأمة الإسلام . من تمام نعمة الله علينا أن جعل فى مسالك هذا الزمن الدؤوب محطات للإستجماع والتزوّد ، ووفّر لها من الين والبركات ماتطيب به نفس الإنسان الراحل ، وتجدد فيه الطاقة لاستكمال رحلته فى العاجل والآجل . وماهذا الشهر المبارك الذى نعيش أواخره إلا من أحسن تلك المحطات الالهية الفضلى ، إذ خصّه بأعظم أركان دينه تجميعا للمؤمنين وتركيزا لروح الأخوة والتضامن بينهم ، وقد احتضنتهم أقدس بقاع الأرض وأبركها عند الله فى بيته المحرّم حيث دوّى صوت رسول الله على مسمع الزمان ، وهو يقرّر دستور أمته فى حجة الوداع ويحذرها من الإرتكاس إلى الكفر والضلال فيقول : « لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » فطوبى لمن وفقه الله فكان من زوّار هذا البيت وتزوّد منه ب زاد التقوى ثم عاد إلى وطنه وأهله كيوم ولدته أمّه . وقد صحّح مساره فى الحياة واهتدى إلى صراطه المستقيم فهنيئا لحاجنا الميامين وطوبى لهم وحسن مأب .

فلتربأوا بأنفسكم - أيها الإخوة - وأنتم وفد الرحمان ، أن تخيسوا بعهد الله
وتصبحوا من أولياء الشيطان . ولا إخالكم إلا شاكرين لهذه النعمة التي حباكم الله
بها ، بينما الكثير من إخوانكم المؤمنين ما يزالون يترقبونها بفارغ صبر ، ويودّ
أحدهم تحقيقها قبل أن تطوى عليه صفحة العمر .

فإن كنتم شددتم الرحال إلى البيت العتيق ووردتم حياض الإيمان والتقوى ،
فإن لبيوت الله في أوطانكم حقا عليكم ، بأن تعمروها وتكونوا من زوّارها في
مابقي من أعماركم ، لأنها فروع لذلك الأصل الكريم تستمدّ منه بقاءها
وقدسيّتها ، وتتجه إليه في صباحها ومساءها .

ربنا أتم لنا نورنا وأغفر لنا إنك على كل شيء قدير .
ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ، ومن
ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .

الأمة الإسلامية في القرآن الكريم

الحمد لله الذي دبر أمر الخلق في نظام بديع ، ووضع لذلك سنا تنتظم الجميع . فقال عز من قائل : ﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم مافرطنا في الكتاب من شيء ﴾ ⁽¹⁴⁶⁾ وقال : ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها ، كل في كتاب مبين ﴾ ⁽¹⁴⁷⁾ نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له بيده ملكوت كل شيء وهو ربّ العرش العظيم . ونصلي ونسلم على من شهد الله أنه بالمؤمنين رؤوف رحيم سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد : فيأيتها الإخوة المؤمنون مانزال نعيش ذكرى ميلاد رسولنا الكريم صاحب الفضل على هذه الأمة التي انطلقت نبتة طيبة ، غرسها أبونا إبراهيم في أشرف بقعة اختارها ربّ العزة على ظهر هذا الكوكب الوديع ليجعلها مهادا آمينا لذريته ، فباركها بهذا الدعاء الحارّ المخلص : ﴿ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا منا سكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ ⁽¹⁴⁸⁾ . لقد استكنّ هذا الدعاء في ضمير الغيب وردّده الملأ الأعلى ، فاستجاب ربّ الوجود وقدر مسار هذه الأمة عبر العصور والأزمنة ، حتى تأصلت جذورها وإمتدت فروع دوحتها باسقة فينانة تكاد تغطي الشمس وتحجب الآفاق على يدي رسول الله وصحابته الكرام . فطوبى للمتين إليها ، والعاملين لتكيتها وعزتها ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ ⁽¹⁴⁹⁾

147 (هود الآية : 06 .

146 (الأنعام الآية : 38 .

149 (سورة المنافقون الآية : 08 .

148 (البقرة الآية : 127/128/129 .

- أيها الإخوة - لقد أشاد القرآن الكريم بهذه الأمة العظيمة في غير ما آية ، وذكر لها مواصفات محدّدة لا تدع مجالاً لأيّ تحريف أو تبديل . ولم يرد في القرآن الكريم ذكر للجماعة المسلمة أتباع محمد - عليه السلام - إلا في إطار لفظ «الأمة» بكل ما تحمله الكلمة من المقوّمات الإجتماعية الأصيلة . فلا الشعوبية ولا القومية ولا القبليّة بالأطر الصالحة لدعوة عالمية شاملة لا تقرّ بالفوارق العرقية أو اللغوية ولا تعترف بالحدود المادية المصطنعة .

فإذا رجعنا إلى التعريف اللغوي والإجتماعي لكلمة الأمة وجدنا هذه المواصفات التي تقول : « الأمة جماعة من الناس تجمعهم عناصر مشتركة : كوحدة الأصل واللغة والعقيدة والتراث الفكري ، مما يجعلهم وحدة حضارية واحدة ، ويخلق عندهم شعوراً بالانتماء إلى تلك الوحدة وتعلّقاً بها » . والأمة حقيقة إجتماعية وحضارية خلافاً للدولة التي تعتبر وحدة سياسية وقانونية . ويلاحظ أن الأمة الواحدة قد تكون موزعة بين عدة دول . كما أن الدولة قد تضمّ عناصر من أمم مختلفة ⁽¹⁵⁰⁾ إذن - فما هي مواصفات هذه الأمة في القرآن الكريم ؟؟

يقول ربّ العزة تبارك وتعالى :

(أ) ﴿ يَا أَيُّهَا الرِّسْلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ، وَأَنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ ⁽¹⁵¹⁾

(ب) ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ ⁽¹⁵²⁾

(ج) ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ ⁽¹⁵³⁾

إنها أوصاف ثلاثة كل منها ركن أساسي في بناء هذه الأمة تلتقي أجزاؤها وتتأسك في تناسق وانسجام . وأيّما خلل في إحدى الأسس فقد ينجّر عنه التصدّع والإهيار .

151 (المؤمنون الآية : 52/51 .

150 (الموسوعة العربية الميسرة حرف أ .

153 (آل عمران الآية : 110 .

152 (البقرة الآية : 143 .

أ (الأساس الأول : هو الوحدة النابعة من وحدة الدين والمرتكزة على وحدانية الله . هذه الوجدانية التي دعا إليها جميع الرسل مهما اختلفت أقوامهم ، أو تعددت شرائعهم في بعض الأحكام العملية التي تخضع لظروف الأزمنة والأمكنة . يقول المولى تبارك وتعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدوني ﴾ ⁽¹⁵⁴⁾ نعم ليس أقوى من رابطة الدين في جمع شتات الأمة ، إذ تتوحد تصوراتها واتجاهاتها وهي تدين لله الواحد القهار ، ويوم يصبح الناس عبادا لله حقا ، فإن ممارسات أنواع العبودية بين خلق الله سوف تذوب وتتلاشى . وهيهات للحرّ الأبيّ ، أن يرضى بالعيش الضنك الشقي . يقول المتنبي في شأن صراع بني الإنسان ، ومغالبتهم لصروف الزمان

ومراد النفوس أصغر من أن تتعادي فيه وأن تتفاني
غير أن الفتى يلاقي المنايا كالحات ولا يلاقي الهوانا

ب (الركن الثاني : هو الوسطية ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾ والوسطية في المعنى اللغويّ تحتمل معاني كثيرة تفنّن المفسرون في بيانها ، وهم يرجحون معنى على آخر بحسب النصوص والقرائن . وهذا الوصف بين حقيقته ومجازه يفتح للمحققين آفاقا للتأمل والنظر ، غير أنهم يتفقون على ذلك القدر المشترك مما حباه الله من الفضل والإمّياز لهذه الأمة ، بأن جعلها شاهدة على الناس بأخلاقها وقيمها . يقول السيد قطب - رحمه الله - في بيان هذه الوسطية... « وإنها للأمة الوسط ، سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل ، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد ، أو من الوسط بمعناه الهادي الحسيّ » ⁽¹⁵⁵⁾ ثم أخذ يفصّل أنواع الوسطية بما ملخصه إذ يقول : « إنها كانت أمة وسطا في التصوّر والإعتقاد . لا تغلو في التجرد الروحيّ ولا في الارتكاس الماديّ . أمة وسطا في التفكير والشعور : لا تجمد على ماعلمت وتغلق منافذ التجربة والمعرفة ، ولا تتبع كذلك كل ناعق وتقلّد تقليد القردة المضحك .

(154) الأنبياء الآية 25 . (155) ظلال القرآن الجزء الثاني ص 181 .

أمة وسطا في التنظيم والتنسيق : لا تدع الحياة كلها للمشاعر والضائر ، ولا تدعها كذلك للتشريع والتأديب .

أمة وسطا في الارتباطات والعلاقات : لا تلغي شخصية الفرد ومقوماته ، ولا تتلاشى شخصيته في شخصية الجاعة أو الدولة .

أمة وسطا في المكان : في سرة الأرض وفي أوسط بقاعها .
أمة وسطا في الزمان : تنهي عهد طفولة البشرية من قبلها وتحرس عهد الرشد من بعدها « انتهى »⁽¹⁵⁶⁾

تلكم هي شهادة أمتنا على الناس في هذه الحياة الدنيا بحكم من الله تعالى القدير ، مادامت وفيه بعهدده ، متبعة نهج رسوله . فلا يضيرها الأفاكون الحاسدون ، وإن خلاهم المكان ، وامتلكوا وسائل الإعلام للإغراء والإفتان ، فلا بدّ من التحيص والإبتلاء لذوي الرفعة والشأن . يقول تعالى : ﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ، إن يمسخكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداؤها بين الناس ﴾⁽¹⁵⁷⁾ اللهم أجعلنا من المؤمنين الصابرين ، ولا تجعلنا من القانطين يأرحم الراحمين .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي يداول الأيام بين الناس ، وقد جعل من آيات قدرته اختلافهم في المواهب والألوان والأجناس . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن سيدنا محمدا عبده ورسوله حجة الله على الأمة إلى يوم الدين . صلى الله عليه وعلى آله وصحابه أجمعين وبعد : فيأمة الإسلام يقول المولى تبارك وتعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ .

156 (أنظر نفس المصدر بتفصيل أكثر ص 182/181 .

157 (آل عمران الآية : 139 - 140 .

فها نحن بأزاء وصف الخيرية لهذه الأمة بشهادة الله تعالى ، وحاشا لله أن يوارب أو يتملق فريقا من عباده كما يدعيه أهل الكتاب لأنفسهم بقولهم : « نحن أبناء الله وأحباؤه » فكان من الله ذلك الجواب المبكّت ، ﴿ قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق ﴾ ⁽¹⁵⁸⁾ فبم استحقّت الأمة الإسلامية هذه الخيرية ؟ ؟

ما استحققتها بأرومة ولا نسب ، ولا بادعاء أو انتفاء ، ولكن الله الذي أخرجها للناس قد حدّد بنفسه معايير ذلك الإستحقاق معلّلا حكم الخيرية لهذه بذلكم الثالث الخير المتكامل لصيانة قوتها وضمان فعاليتها في جهاد الحياة وكفاح البقاء .

فقال جلّ من قائل : ﴿ تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ إنه النهوض بتكاليف الأمة الخيرة بكل ما يتطلبه من تضحية وجهاد ، وماتعرّض إليه من تمحيص وإبتلاء . ومن إعجاز البيان في هذه الآية الكريمة هذا الترتيب للمهام الواجبة على الأمة ، إذ تبدو مقلوبة للمتأمل العجول . لأن الإيمان هو الأساس الذي تقوم عليه أعمال البرّ كلها . فهاهو المعنى اللطيف من وراء ذلك الترتيب ؟ حاول المفسّرون بيان الفائدة من ذلك بمختلف التأويلات . وأقربها إلى سياق الآية - والله أعلم - هو ما أورده صاحب المنار إذ يقول : « والمتبادر عندي : أن تقديم الأمر والنهي هو للتعريض بأهل الكتاب الذين كانوا يدّعون الإيمان ، ولا يقدرّون على ادعاء القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لأنهم كانوا في مجموعهم لا يتناهون عن منكر فعلوه . وإدعاء ماتكذبه المشاهدة يفضح صاحبه . فقدم الأمر والنهي لأنهم لا مجال لهم في دعوى مشاركة المؤمنين فيه ، وأخر ذكر الإيمان الذي يدّعون ليرتب عليه بيان أنه إيمان غير صحيح ، لأنه لم يأت بشر الإيمان الصحيح ولذلك قال تعالى : ﴿ ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم ﴾ . » انتهى ⁽¹⁵⁹⁾

(158) (الفائدة الآية : 18 .

(159) (تفسير المنار م الرابع ص 46 .

وهو ملحظ ممتاز ألهم إليه هذا المفسر الكبير ، يؤيده ماورد في الأحاديث الكثيرة الثابتة عن رسول الله في تحريض المؤمنين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، نكتفى منها بهذا الحديث الذى يذكر فيه رسول الله ﷺ النتائج الوخيمة التى تلحق بالأمة جمعاء إن هي تركت الأمر والنهي فيقول : « والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ، ثم تدعونه فلا يستجيب لكم » ⁽¹⁶⁰⁾ فلننظر الأمة الإسلامية مالحق بها من الوهن ، وماتعانيه اليوم من أزمات وضوايق ، إن هي إلا نتائج حتمية لتخليها عن هذه القاعدة الإجتماعية الأصلية التى تقوم سياجا منيعا للفضائل والأخلاق .

وبعد : فهل يحتاج المسلمون إلى معايير أخرى يستجدونها من الشرق أو الغرب لبناء مشروع مجتمعه بعد أن أرسى الله قواعده ووضع تصميمه حسب ما ارتضاه لنا منهجا للحياة الكريمة ، وحملنا تبليغها للعالمين ؟ ألا فليخسأ المتخاذلون ، وليقصر المتطعون ، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون . اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ، ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . - والحمد لله رب العالمين -

(160) أخرجه الترمذى .

عندما تنزل بركات السماء

الحمد لله الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد ، جلّت قدرته في صنعه كيف يبدئ ويعيد . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن سيدنا محمدا عبده ورسوله . صلى الله عليه وعلى آله وصحابه أجمعين . أما بعد : فيأيتها الإخوة المؤمنون لقد لفت القرآن انتباهنا إلى تدبر آيات قدرة الله وجليل نعمه علينا ، إذ جعل الأرض مهادا وطيبا لحياتنا ، وجعلها ذلولا لنسخرها في توفير أرزاقنا . فقال جل من قائل : ﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه ، إنا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الأرض شققا ، فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا ، وفاكهة وأبا ، متاعا لكم ولأنعامكم ﴾ ⁽¹⁶¹⁾ وما كانت هذه الأرض الطيبة الحنون لتفيض علينا من خيراتها لولا ذلك الباء الطيب الزلال ، الذي تجود به السماء بقدرة الكبير المتعالي . يقول المولى تبارك وتعالى : ﴿ أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء ، فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ، أله مع الله بل هم قوم يعدلون ﴾ ⁽¹⁶²⁾ فسبحان ربّي ما أرحمه وما أكرمه إذ جعل هذا العنصر الحيويّ الهامّ في متناول أيدينا نحصل عليه بأيسر الوسائل وأبسطها . وليس بمقدور الإنسان أن يحتكره جريا على عاداته في وتيرة التنظيم والتسيير ، والتي إذا اضطربت موازينها أرهقت الناس بالتقتير أو التبذير . وصدق مولانا إذ يقول : ﴿ قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربّي إذا لأمسكنكم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا ﴾ ⁽¹⁶³⁾

ولئن حاول هذا الإنسان الضعيف أن يختزن كميات من الماء بوضع الحواجز والسدود ، فأتى له أن تستوعب ما تسحّ به الغيوم وتثجّ به المعصرات ، مما

161 (سورة عبس الآية : من 24 الى 32 .

162 (سورة النمل الآية : 60 .

163 (سورة الاسراء الآية : 100 .

يَتَسَبَّبُ أحيانا في الكوارث والفيضانات يقول تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ، وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ، وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحِقَ فَإَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَا كُوهَهُ ، وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ ⁽¹⁶⁴⁾ ويقول : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ ، وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ ﴾ ⁽¹⁶⁵⁾ ومن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم أن يشير إلى ظاهرة التلوث التي تعاني منها مجتمعاتنا المتحضرة ، فلا ينجو منها هذا العنصر الحيوي الذي أراده الله حقا مشاعا بين سائر مخلوقاته ، فجعله غدقا طهورا يحيي الموت ، ويكفل المؤمن والأقوات . ولكن أنانية الإنسان وجشعه دنست ذلك الطهر ، وضيقت من ذلك الوفر ، فأصبحت الخلائق تعاني من اليبس والجفاف وهي على شواطئ البحار وضاف الأهار . وأيا اختلال أو فساد يظهر على وجه الأرض إلا ويد الإنسان من وراء ذلك شعر أو لم يشعر ، وهو في فورة قوته وذروة غروره يقطع كل صلة بالسما ، حتى لكان الأرض قد انفصلت عن ملكوت الله ولم تعد ساجدة في الفضاء . كلا أيها الإنسان المغرور . فالويل لك إذا انقطعت عنك أسباب السماء ، فسوف لا تجني إلا عذابات الضنك والشقاء ، وربك الكريم يقول : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ ⁽¹⁶⁶⁾ لقد ضاقت هذه الأرض من أوزار أثامك ، وحتى الباء والهواء لم يسلما من بغيك وإجرامك . دنستهما وهما إكسير الحياة ، واحتكرتهما وهما ملك لسائر المخلوقات . وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ نُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ، لَنَحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنَسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ، وَلَقَدْ صَرَفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذْكُرُوا فَابِيَ أَكْثَرِ النَّاسِ إِلَّا كَفُورًا ﴾ ⁽¹⁶⁷⁾ . ويقول : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ؟ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ؟ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ ⁽¹⁶⁸⁾

164 (سورة الحجر الآية : 21 و 22 .

165 (سورة المؤمنون الآية : 18 .

166 (الذاريات 22 .

167 (الفرقان الآية 48/49/50 .

168 (الواقعة الآية : 68/69/70 .

والقرآن الكريم إذ يلفت أنظارنا إلى تدبر هذه الظاهرة الطبيعية لنستشف قدرة الله تعالى في إحياء الأرض بعد موتها نجده كثيرا مايربطها بقضية البعث والنشور . تلك القضية التي ماتزال مند بدء الخليقة مثار جدل بين الناس ، وقد جعلها الإسلام هي الفاصل بين الإيمان والكفر في مبادئ عقيدته يقول المولى تبارك وتعالى : ﴿ فانظر إلى أثر رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها ، إن ذلك لحى الموتى وهو على كل شئ قدير ﴾ ⁽¹⁶⁹⁾ ويقول في سورة الحج : ﴿ يأيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنّا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ، ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ، ونقرّ فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلا ، ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يردّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ، وترى الأرض هامة . فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شئ قدير ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ﴾ ⁽¹⁷⁰⁾ سبحانه اللهم أنت القوي القادر ، أنت الحق ، وقولك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق . ألا ما أعجب غرور هذا الإنسان عندما يتحدّى الطبيعة ويريد أن يقهرها فى زهو ببعض تقنياته وعلومه . والغرور يعمى البصائر ، فلا تهتم إلا بالأشكال والمظاهر . أفلا يسأل هذا المغرور عن الطبيعة من طبعها ؟ وعن تلك السحب من سخرها ؟ وعن ذاته من خلقها فسوّاها ، وألهمها فجورها وتقواها ؟ يقول تعالى : ﴿ الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً . فترى الودق يخرج من خلاله ، فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون ، وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين ﴾ ⁽¹⁷¹⁾ تأمل قوله تعالى ، يبسطه فى السماء كيف يشاء ، وقوله ، فإذا أصاب به من يشاء من عباده .

170 (الحج من الآية : 05 الى 07 .

169 (سورة الروم الآية : 50 .

171 (سورة الروم الآية : 49/48 .

فأين هو موقع تحديك - أيها الإنسان - أفي الرياح تسوقها وهي تعطل نشاطك ، وأحيانا تخرب عمرانك ؟ أم في السحب تزجها لتستدرها وهي تحرقك بصواعقها ثم تلوي عنك العنان ولا تجود لك بقطرة ، ولا تشفيك من لهفة وحسرة كلاً بل هو الله العزيز الرحيم ، يحيب المضطرب إذا دعاه ويكشف السوء ، وهو أرحم من أن يتركنا لليأس والقنوط . فإن نفحة من نفحات بركاته ترسل السماء مدرارا . وومضة من ومضات رحمته تغمر الأرض سيولا وأنهارا ومن هنا تأتي حكمة التشريع الإسلامي في سنّ صلاة الإستسقاء ، حتى لا يتوجّه المؤمن لغير خالقه في السراء والضراء . وصدق الله مولانا إذ يقول : ﴿ وهو الذي ينزل الغيث من بعدما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد ﴾ ⁽¹⁷²⁾ اللهم لا تجعلنا من القانطين ، وأرحمنا وأنت خير الراحمين .

الخطبة الثانية

سبحانك يا غياث المستغيثين ، ويا كاشف الضر عن البائسين ، وباعث الأمل في نفوس القانطين . نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن سيدنا محمدا عبده ورسوله . اللهم صلّ عليه وعلى آله وصحابه أجمعين وبعد : يقول تعالى : ﴿ فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون ، وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين ﴾ نعم إنها بركات السماء تنفث بسحرها في الأرض الهامدة فإذا بها تهتز وتربو ، وتسري بروحها في النفوس الخاملة فإذا بها تنتعش وتمفو . فيا لله لتلك النفوس كيف نشطت من عقالمها وكيف انتعشت آمالها ومالتلك الوجوه تنبسط أساريرها وتتألق نضرتها فكم تفنّن الإنسان في اختراع وسائل التسلية والترفيه ليخفف بها عن همومه وأحزانه ، وكم يلود لبني جنسه في بثّ غمومه وأشجانه ثم لا تريده

(172) الشورى الآية : 28 .

الشكاة إلا تدمراً واكتئاباً ، لأن ما يملكه الإنسان ليس في حقيقته إلا سراباً . أين من ذلك كله تلك الفرحة الغامرة التي تلفّ الخلائق عند نزول الأمطار وسيلان الأودية ؟ فلا ترى يومها إلا أسراباً من البشر ، وقد غرّتهم الفرحة ولفّهم الطهر الفطريّ ، فإذا بالحواجر الاجتماعيّة تنكسر ووطأة التقاليد تخفّ ، لأن النفوس يومها تصفو من شوائب الطين ، والقلوب يغمرها برد اليقين ، إذ تحسّ برحمة الله الغامرة ، وتلمس ألطافه الباهرة في تلك المياه المتدفقة ، وهي تكتسح الأوساخ وتجرف الأتربة وتزيل الأكوام الناتئة ، وتسوي الأخاديد الفاغرة ، فيكون لذلك مفعوله التلقائي في أغوار النفس البشرية صفاء وابتهاجا ، وطهرا ونقاء ، وبشرا وإقبالا . لا ترى في الوجود ، إلا عظمة الخالق المعبود ، ودلائل العفو والرحمة والجلود . فهي يومئذ في رفرف من السكينة والاطمئنان ، وفي معزل عن هواجس الهوى ووسواس الشيطان . فلا الأعين تخون بنظرها ، ولا القلوب تهيم في خطراتها ، وقد طهرتها بركات السماء وأزاحت ما بها من رين ، وأشرقت بنور ربّها فتسامت عن نفايات الطين .

فالحمد لك الحمد على ما أوليت وأنعمت ، ولك الشكر على ما أهديت وأسدّيت .

– أيها الإخوة المؤمنون – هذه رحمة الله وبركاته عليكم فهل أنتم شاكرون ؟ ام أن البعض منا غاضبون لما أصابهم ببعض تقصيرهم وإهمالهم لقانون السببية في تدبير شؤون معاشهم وهم عن سنن الله غافلون ؟

فلا تنزعجوا فإن الله مخلف ماتلف ، فربّ تقمة في طيّها نعمة ، فلندبّر أمورنا بأناة وحكمة ، ولنحمد الله في السراء والضراء . وهو اللطيف لما يشاء . اللهم حسنّ عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ، واسترنا في الدنيا وارحمنا في الآخرة يا أرحم الراحمين .
– والحمد لله ربّ العالمين .

القرآن والسكن النفسي للإنسان

الحمد لله فاطر السماوت والأرض خالقنا من نفس واحدة . جعل في أرجاء ملكوته آيات لتكون على عظمتة وقدرته شاهدة . نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، تسبح بحمده الكائنات وتخترّ لجلاله ساجدة . ونصلّي ونسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحابه ومن تبع هداهم إلى يوم الدين أما بعد :

- فيأياها الإخوة المؤمنون - لقد حفل القرآن الكريم بعرض طبائع هذا الإنسان ، وبيان حالاته النفسية المتقلبة في كثير من آياته وسوره . فهو الظلوم الجهول ، وهو القتور العجول ، وهو الكنود الكفار ، وهو المتكبر الجبار ، وهو الخصيم المبين ، وهو الضعيف الهلوع . إلى غير ذلك من الحالات النفسية الأخرى التي لا يعلم خفاياها وأسرارها إلا الله العليّ القدير وهو القائل : ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ ⁽¹⁷³⁾ ولا يسعنا في هذا المقام أن نستقصي كل هذه الأحوال بالدرس والتحليل ، ففي العلوم النفسية والاجتماعية في مختلف فروعها ما يشفي الغليل ، وإن لم تكشف من أسرار النفس إلا القليل ، وسوف نتناول في حديثنا اليوم صفتي الضعف والهلع . لأننا في هذه الفترة العصيبة التي تمرّ بها بلادنا أكثر الناس إحساسا بها ونحن نعيش هذا الواقع الأليم من الاضطراب والخوف في ظعننا وإقامتنا وفي غدوّنا ورواحنا .

الإنسان ضعيف في تكوينه العامّ يقول تعالى في بيان مراحل العمر : ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ** ﴾ ⁽¹⁷⁴⁾ وللسيد قطب - رحمه الله - ملحظ سديد في تفسير هذه الآية الكريمة إذ يقول : « لم يقل خَلَقَكُمْ ضَعْفًا أو في حالة ضعف » إنما قال « خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ » كأن الضعف مادتهم الأولى التي صيغ منها كيانه . والضعف التي تشير إليه الآية ذو معان

(173) سورة الملك الآية : 14 .

(174) سورة الروم الآية : 54 .

ومظاهر شتى في تكوين هذا الإنسان . إنه ضعف البنية الجسدية الممثل في تلك الخلية الصغيرة الدقيقة التي ينشأ منها الجنين ، ثم في الجنين وأطواره وهو فيها كلها واهن ضعيف ، ثم في الطفل والصبي حين يصل إلى سنّ الفتوة وضلّاعة التكوين ، ثم هو ضعف المادة التي ذرأ منها الإنسان - الطين - الذي لولا نفخة من روح الله لظل في صورته المادية وفي صورته الحيوانية ، وهي بالقياس إلى الخلقة الإنسانية ضعيفة ، ثم هو ضعف الكيان النفسي أمام النوازع والدفعات والميول والشهوات ، التي لولا النفخة العلوية وما خلقت في تلك البنية من عزائم واستعدادات ، لكان هذا الكائن أضعف من الحيوان المحكوم بالإلهام « انتهى .⁽¹⁷⁵⁾ نعم إنه ضعف مزدوج في كيانه المادي والنفسي وقد أكد الله تعالى ذلك الضعف النفسي في سورة النساء وهو يشرع أحكام الأسرة والموارث ، ويعفّي على أثار العادات الجاهلية في استغلال ضعف النساء واليتامى ويحدّ من سعار شهوة المال ، ثم يفتح باب التوبة للإنسان عندما ينتابه الضعف النفسي أمام المغريات والشهوات فيقول جلّ من قائل : ﴿ يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا ﴾⁽¹⁷⁶⁾ ويمقتضى ذلك الضعف في خلقته فهو لا ينفك عن الخوف والهلع حرصا على بقائه ، وإشفاقا على وضعيته في سرائه وضرائه . يقول جلّ من قائل : ﴿ إن الإنسان خلق هلوعا ، إذا مسه الشر جزوعا ، وإذا مسه الخير منوعا ﴾⁽¹⁷⁷⁾ وفي مطلع سورة الإنسان ملخّص بليغ يعبر عن حقيقة أصله ونشأته ، وحكمة الله تعالى في وجوده ، وكيف زوّده بملكاته وطاقاته ليختبره حيناً من الدهر ، فأمكنه من اختيار مصيره بعد أن هداه وأرشده فقال تعالى : ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ، إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ﴾⁽¹⁷⁸⁾ وأشدّ المصائب وطأة على الإنسان ،

175 (أنظر تفسير الآية من الظلال .

176 (النساء الآية 28 .

177 (المعارج الآيات : 21/20/19 .

178 (الإنسان الآيات : 3/2/1 .

وأكثرها وروداً في مجال الإبتلاء كما ذكرها القرآن هي مصيبة الخوف والجوع فقد عرضها القرآن في وتيرة الإبتلاء سنة من سنن الحياة الدنيا التي لا يحصى عنها لتحريض الإيمان والصبر فقال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ﴾ وبشر الصابرين ﴿ (179) ﴾ كما عرضها وسيلة لردع الخلائق عن كفران النعم فقال جل من قائل : ﴿ وضرب الله مثلاً ، قرية كانت ءامنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الخوف والجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ (180) وأمام هذا الوضع المربك لطبيعة الإنسان الضعيفة نجد المنهج الإلهي في تربيته الحكيمة وإرشاداته القيمة لا يترك هذا الإنسان منطوياً على ضعفه ، ضائعاً في متاهات خوفه . بل يدّ إليه يد العون ، ويمهّد له الطريق في رحلة عمره مهتدياً بمعالم شرعه النيرة الواضحة بعد أن يزوّده بالطاقات الضرورية لإكمال الرحلة من بدايتها إلى نهايتها .

فماهي هذه الوسائل التي تكفل للإنسان قدراً من القوة والسكن النفسي ليتغلب بها على بواعث ضعفه ؟ إنه الإيمان بالله تعالى بكل مقوماته الأساسية حين يجعل الإنسان صلته بالله سندا دائماً وحبلًا موصولاً من مصدر الوجود إلى مرجعه لا ينفك عنه قيد أتملة كيفما كانت أحواله ، وذلك يعبر عنه المؤمن حين يسترجع ويقول : « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

فالإيمان هو الطاقة السحرية العجيبة التي تدكّ رواسي الجبال وتهزّ بالأنواء والأعاصير ، وهو الذي يجعل من هذا الإنسان ملكاً كريماً بانضباطه الذاتي فلا تستخفّه الشهوات ولا تندّ به الرغبات ، كما تجعل منه ملكاً مطاعاً تسخر له الكائنات ، وتستجيب لرغبته الأرض والسماوات . ولما كانت الصلاة هي الصلة الوثقى بين العبد وربّه فقد اعتبرها القرآن الكريم إحدى الرياضات الروحية للطهر النفسي والنقاء الوجداني . وكلما حافظ عليها المؤمن تدرّج في منازل

(179) البقرة الآية : 155 .

(180) النحل الآية : 112 .

القربى إلى درجة الصديقين والشهداء والصالحين حسبما ثبت في الحديث القدسيّ ، «ما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت بصره الذي يبصر به وسمعه الذي يسمع به ويده التي يبسط بها» - الحديث - .

فإذا كان للصلاة هذا الأثر السحري في توفير السكن النفسي للإنسان ، فإن أداءها جماعة في بيوت الله لمّا يضاعف فيه الأجر ، والله تعالى يشهد لعَمَّار المساجد بأنهم من المقربين إليه إذ لا يخشون أحداً إلا الله . فما أرواح على النفس المكدودة المهمومة أن تجلس إلى جوار ربّها خاشعة مطمئنة في رحاب بيوت الله تصلّي وتذكر ، وتتوب وتستغفر . فلا غرو أن يمتنّ الله على قريش بهذه المنّة ، إذ جعل البيت مثابة للناس وأماناً فقال عزّ من قائل : ﴿ أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ . أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾⁽¹⁸¹⁾

وملاك الأمر في هذه الارشادات الربانية كلها ، ومن خلال تلك التربية العملية أن يكون قلب المؤمن عامراً بحبّ الله ، ولسانه رطباً بذكر الله . فسوف يجد - بإذن الله - حلاوة الإيمان ، وينعم بلذة التقوى ، ويسمو بروحه إلى منازل القربى . وهناك تتلاشى هواجس الحزن والخوف . ويبقى في كنف الله آمناً مطمئناً . ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ، أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ، الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسَنَ مَّآبٍ ﴾⁽¹⁸²⁾ اللهم أشرح صدورنا للإسلام واملاً قلوبنا بالإيمان ، ويسر لنا أسباب الخير والأمن والأمان ، ومتعنا ببرد اليقين والإطمئنان .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي بسط أرزاقنا في الأرض ذات الفجاج ، وجعل لنا من بيوتنا سكناً نطلبه في كنف الأزواج . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله اللهم صلّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . وبعد :

(182) سورة الرعد الآية 28 و 29 .

(181) سورة العنكبوت الآية : 67 .

فياأمة الإسلام لم يغفل القرآن ضرورات هذه الأجساد الفانية في إشباع غرائزها الملحاحة في الطعام والجنس والمأوى . فمن نزوات هذا الجسد الفاني نكبة الإنسانية في المجتمعات البشرية حين تنعدم العدالة الاجتماعية في توفير الطعام والدواء ، وضمان السكن والمأوى . وشعبنا الأبّي مايزال يعاني من التخلف المميت في هذا المجال الحيوي . والله تعالى - وهو البرّ الرحيم - يرشدنا في آياته اليّنات إلى هذا الجانب الضروري من حياتنا لنجتهد في توفير أسبابه التي تضمن لنا ذلك القدر الضروري من السكن النفسي في بناء العش العائلي على قواعد متينة ، بحيث يصبح المحضن الأمين والملاذ الحصين لذريتنا وأهلينا فقال جلّ من قائل : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودةً ورحمة ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ ⁽¹⁸³⁾ وقال : ﴿ والله جعل لكم من بيوتكم سكنا ﴾ ⁽¹⁸⁴⁾ فليس من عفوية التعبير في القرآن أن يذكر السكن مع البيوت والأزواج ، لأن كل صلاح يرجى للمجتمع ، وكل عملية ترمى إلى الرقي الحضاريّ والإزدهار الإقتصاديّ ، والاستقرار السياسيّ والاجتماعيّ إنما يكون عمادها البيت السعيد وسندها الأسرة الهنيئة باعتبارها الخلية الأولى للمجتمع . وبالتالي فإن كل إخلال بتوازن هذا البيت وانتهاك لحرمته فإنما هو انتحار للمجتمع وافساد للعمران البشري تنجرّ عنها سوء العواقب في جحيم التمزق وحماة الفتن . ومن هنا تتجلى مسؤولية كل راع في ماكلّفه الله به من قمة المجتمع إلى قاعدته كما حدّدها رسول الله عندما قال : « كلّم راع ، وكل راع مسؤول عن رعيته ، الإمام راع ومسؤول عن رعيته ، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته ، والخادم راع في مال سيّده ومسؤول عن رعيته ، وكلّم راع ومسؤول عن رعيته » ⁽¹⁸⁵⁾

183 (سورة الروم الآية : 21 .

184 (سورة النحل الآية : 80 .

185 (متفق عليه .

اللهم عجل لأوليائك بالأمن والعافية . اللهم اجعل لنا وللمسلمين من كل همّ
فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ومن كل بلاء عافية . اللهم من أراد بالمسلمين
سوءاً فاشغله في نفسه . اللهم إنا ندرأ بك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم . اللهم
إنا نسألك نفوساً مطمئنة بلقائك ، تقنع بعطائك ، وترضى بقضائك . ﴿ رب
اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم
الآخر ﴾ ⁽¹⁸⁶⁾ آمين والحمد لله رب العالمين .

القرآن والنساء

الحمد لله الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا .
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شرع لنا من الأحكام ما يضمن لنا
السعادة في معاشنا ومعادنا ، إنه كان بعباده خبيرا بصيرا . ونصلى ونسلم على
أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله الذين شرفهم الله بقوله : ﴿ إِنَّمَا
يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ⁽¹⁸⁷⁾ صلى
الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .
وبعد : فيأيتها الإخوة المؤمنون . إن خير ما نذكر به إخواننا وأبنائنا ونحن في
هذه الأيام نحتفل بتكوين أسر جديدة ، سوف تكون - بحول الله - لبنات متينة
في صرح المجتمع الإسلامي التقوي الصالح . خير ما نذكرهم به هو تلك الإرشادات
الالهية وأحكامه الشرعية الواردة في سورة النساء ، وخاصة ما يتعلق منها بوضعية
المرأة وضمان حقوقها في إطار الأسرة المسلمة التي تنزلت في شأنها هذه النصوص
من عند الله مباشرة بكل تفاصيلها وجزئياتها ، ولم يوكل بيانها إلى الرسول ولا
إلى اجتهادات العلماء . مما يدل دلالة واضحة على عناية الإسلام القصوى بهذه
الناحية الحساسة من الحياة البشرية . وحسبنا في ذلك أن نعرف بأن القرآن
عرض لشأن المرأة والأسرة في أكثر من عشر سور ، وأن المفسرين درجوا على
تسمية سورة الطلاق بسورة النساء الصغرى ، وهذه هي سورة النساء الكبرى .
لما بين النساء والطلاق من تلازم في الحياة الزوجية ، حين تهز أركانها بعض
العواصف ثور وتهدأ ، أو تعتو فتدمر .

فما أجدر النساء المسلمات أن تنشر صدورهن وتقر أعينهن لهذا التكريم
الذي حباهن الله به حين يعرفن أن القرآن الكريم تعرض لشؤونهن في هذه السور
كلها ، وأن هذه السورة الكريمة تحمل اسمهن خاصة لما ورد فيها من أحكام تثبت

حقوقهن الشرعية ، وترفع شأنهن في المحيط الإجتماعي كما أراد الله أن يكون مبنيا على العدل والإنصاف في تحديد الحقوق والواجبات . وفي النداء الإلهي ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاس ﴾ في أول السورة إشارة إلى أن أولى النعم وأجدرها بالشكر هي نعمة الإيجاد والخلق ونعمة الرحم التي كانت المرأة فيه الجزء الأساسي المكمل للرجل في نفس واحدة ، تنتج عنها أسرة واحدة مهما تكاثرت الأجناس وتعددت لغاتها ، وتباينت أقطارها .

أبعد هذا التكريم يزعم زاعم بأن الإسلام لم يمنح للمرأة من الحقوق مامنتها الحضارة الغربية؟؟ كلا بل هو التقليد الأعمى الذي أوقع بعض النساء المسلمات في حمأة الرذيلة والفساد ، يندبن حظهن من شرف ضائع ، وكرامة مداسة ، وعرض مبتذل . فإذا بالحرية التي يحملن بها إن هي إلا حبال لصيد أعراضهن وإذا بالمدينة التي فتن بها إن هي إلا ذريعة لطمس دينهن وشخصيتهن . ألم يأن لهؤلاء النسوة ولتلك الأقلام المأجورة التي تطبل لها وتزمر أن تفيق من سباتها ؟ وتنتبه لما يخططه أعداء الإسلام لتحطيم إحدى ركائز مقوماته في بناء الأسرة الصالحة ؟ ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم ، وكثير منهم فاسقون ﴾ ⁽¹⁸⁸⁾ يقول أحد المفسرين في شأن سورة النساء : « هذه السورة تمثل جانبا من الجهد التي أنفقه الإسلام في بناء الجماعة المسلمة وإنشاء المجتمع الإسلامي ، وفي حماية تلك الجماعة وصيانة هذا المجتمع ، وتعرض نموذجاً من فعل القرآن في المجتمع الجديد الذي انبثق أصلاً من خلال نصوصه ، والذي نشأ ابتداءً من المنهج الرباني ، وتصور بهذا وذاك طبيعة هذا المنهج في تعامله مع الكائن الإنساني ، كما تصور طبيعة هذا الكائن وتفاعله مع المنهج الرباني ، تفاعله معه وهو يقود خطاه في المرتقي الصاعد من السفح الهابط إلى القمة السامقة ، خطوة خطوة ومرحلة مرحلة ،

بين تيارات المطامع والشهوات والمخاوف والرغائب ، وبين أشواك الطريق التي لا تخلو منها خطوة واحدة ، وبين الأعداء المتربصين على طوال الطريق الشائك » . انتهى ⁽¹⁸⁹⁾

نعم أيها الإخوة المؤمنون : إن الطريق لشائك في إصلاح أوضاع المجتمع الذي تناوشه المتغيرات الحادة في كل حين ومن كل جهة ومكان . ولسنا بدعا من البشر في التأثر بما حولنا ، سواء انتقلنا إليه أو وفد إلينا . ومهما تكن لدينا من الحصانة والمناعة ، فإن الطبيعة البشرية متقلبة عجولة ، لا تقوى على الصمود طويلا أمام المفاتن والمغريات ، سيما وبعض السفهاء منا يستعجل وسائلها من أجهزة إعلام أو من أثاث ومتاع ، وهم مغرورون بزينة الدنيا منغمسون فيها إلى الأذقان ، وقلوبهم في أكنة مما يدعو إليه القرآن . فليترك الله هؤلاء في هذا المجتمع الطاهر . وليعلموا أنهم بعملهم هذا مندرجون في عداد من تهدم الله بقوله : ﴿ إِنْ الَّذِينَ يَجْبُونَ أَنْ تُشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ⁽¹⁹⁰⁾ .

الخطبة الثانية

حمدا لله الذي شرفنا بالإيمان وحذّرنا من عذاب النار فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ ⁽¹⁹¹⁾ نحمده حق حمده ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهّد الله فهو المهتدي ، ومن يضلّ فلن تجد له وليا مرشدا . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وبعد : فيأيتها الإخوة المؤمنون : تمهيدا لما نزمعه - بحول الله - من التعبير عن بعض الإرشادات الواردة في سورة النساء أنقل هذا الكلام البليغ لأحد

189 (ظلال القرآن ج 04 ص 204 .

190 (سورة النور الآية : 19 .

191 (سورة التحريم الآية : 06 .

المفسرين المحدثين وهو يبين ملخصها فيقول : « يجدر بنا أن نجمل ما عرضت له سورة النساء من أحكام وإرشاد في نواحي الجماعة فنقول : إن احتفاظ الأمم بكيانها يرتبط بأمرين عظيمين : الإستقرار الداخلي والإستقرار الخارجي .

أ) فالإستقرار الداخلي : أساسه صلاح الأسرة ، وصلاح المال في ظل تشريع قويّ عادل ، مبنيّ على مراعاة مقتضيات الطبيعة الإنسانية ، مجرد من تحكيم الأهواء والشهوات . وذلك إنما يكون صادرا عن حكيم خبير بنزعات النفوس واتجاهاتها ، تمتلئ النفس بعظمته وقوته وغيرته على تشريعه ومحارمه .

ب) والإستقرار الخارجي : أساسه احتفاظ الأمة بشخصيتها والإستعداد لمقاومة الشرّ الذي يطرأ عليها ، والعدوّ الذي يطمع فيها . وسورة النساء تكفلت بوضع أسس الأحكام التي تصلح بها هذه النواحي . ونستطيع أن نردّ ما عرضت له السورة إلى الموضوعات الآتية : الأسرة ، المال ، أسس الجماعة الإسلامية ، مصادر التشريع ، ألوان التمرّد على التشريع ، أسس الإستقرار الخارجي ، مكافحة الآراء والشبه الضارة ، تنويع هذا كله بالدعوة إلى الإيمان بمحمد - عليه السلام - وما جاء به من هداية ونور . انتهى ⁽¹⁹²⁾

إيها المؤمنون ، لقد صدق مولانا العظيم عندما قال : ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ ⁽¹⁹³⁾ فإذا كانت سورة النساء تحمل في طياتها كل هذه الإرشادات وتعالج هذه المواضيع ، وهي جزء من ثلاثين جزءا من كتابنا المبين ، فهل يبقى للخرّاصين والأفّاكين ما ينتقدونه في كتاب الله من دعواهم بعجزه عن مسابقة ركب الحضارة والتطور ؟ كلا بل هو الضلال المبين والحق الدفين يدفع هؤلاء لتلفيق الشبه والأكاذيب وترويج التأويلات الباطلة لإزاحة الدين الإسلامي عن معترك الحياة كما فعلوا من قبل بالمسيحية في أوطانهم . وهم بذلك يريدون أن نكون سواء في الضلالة والكفر وصدق الله العظيم إذ يحذّرنا

192) تفسير شلتوت . 01 ص 169 .

193) سورة الأنعام : الآية : 38 .

ويقول : ﴿ وَدَّوْا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ
أَوْلِيَاءَ ﴾ ⁽¹⁹⁴⁾ ويقول : ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ
إِيمَانِكُمْ كَفَارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ ⁽¹⁹⁵⁾
فاللهم أرنا الحق حقا وارزقنا إتباعه وإتباع أهله وحبَّ أهله ، وأرنا
الباطل باطلا وارزقنا إجتنابه وإجتناب أهله وبغضه وبغض أهله ، وأعدنا من أن
يشتبه علينا أمر ديننا فنتَّبِع فيه هوانا بغير هدى منك يا أرحم الراحمين ،

- والحمد لله رب العالمين -

194 (سورة النساء الآية : 98 .

195 (سورة البقرة الآية : 109 .

القرآن والنساء « 2 »

سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم وما لا يعلمون ،
نحمد الله حق حمده ونحن له عابدون . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له ، وأن محمدا عبده ورسوله القائل : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم
لأهلي » ⁽¹⁹⁶⁾ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن إتبع هداهم إلى يوم الدين ،
أما بعد : فيأيتها الإخوة المؤمنون : بعد أن تعرّفنا على لمحات مما ورد في القرآن
الكريم عن شأن الأسرة سيما في سورة النساء التي لخصنا أهدافها العامة ، وقلنا إنها
تكفلت بوضع الأحكام التي تضمن للجماعة المسلمة استقرارها الداخلي
والخارجي ، وأن الأساس في البناء الداخلي يرتكز على صلاح الأسرة واستقرارها
فكيف عاجلت السورة الكريمة هذا الموضوع .

من جليل صنع الله تعالى أن ينشئ الحياة على الإزدواجية التي تنتظم كل
الكائنات في عالمنا المشاهد أو المغيب ، كما أخبرنا مولانا بذلك في قوله : ﴿ ومن
كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴾ ⁽¹⁹⁷⁾ وتركيزا على هذا المبدأ التكويني
في بديع صنع الله جاء ذلكم النداء الإلهي في أول السورة ليذكرنا أننا رحم واحدة ،
منشأنا أب واحد وأم واحدة وإن اختلفت أجناسنا وتعددت ألواننا وتوزعنا إلى
شعوب وقبائل فقال جل من قائل : ﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من
نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله
الذي تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ ⁽¹⁹⁸⁾ فالزواج كان ولا
يزال هو الرابطة المقدسة التي تجمع بين الذكر والأنثى في استجابتهما لنداء الفطرة
وغيرية حبّ البقاء ولم يكن العرب بدعا من البشر في تطبيقهم لهذه السنة الفطرية
التي جعلتهم أسرا وقبائل . غير أن النداء الإلهي « يأيها الناس » وأمرهم بتقوى الله في
معرض التذكير بحكمة الله في نشأة الخلق يشعر بمخالفات قد مارسها الناس

196 (رواه ابن ماجة والدارمي .

197 (سورة الذاريات الآية : 49 .

198 (سورة النساء الآية : 01 .

من قبل هي بعيدة عن تقوى الله وخشيته ، ومراقبته وحسابه ، فلا غرو أن تنزل الرسالة المحمدية الخاتمة لتبين للناس مدى ابتعادهم عن الفطرة السلية ، ومجافاتهم في هذا الرباط المقدس للعلاقات الودية الرحمة . فكان من القرآن الكريم أن رفع مكانة الزواج من مجرد عقد بسيط يتم بين طرفين إلى اعتباره ميثاقا غليظا لا ينحل رباطه إلا في ظروف خاصة ، وبعد محاولات متنوعة لإصلاح ذات البين ، تصان فيه الحقوق وتقوم على الإنصاف والعدل . ولا نغالي إذا قلنا إن التعبير بالتوثيق والغلظة في هذه الرابطة ، لا يدانيه في أحكام الله تعالى إلا تلك التي تقرّر وحدانية الله والأمر بطاعته وعبادته . ولعل في ورود الأمر بالتقوى لله مقرونا بمراعاة حق الرحم ما يدل على هذه المكانة السامية التي رفع الله إليها الزواج الشرعي . ومن ثم شرع الله له من الأحكام مايؤسسه على قواعد متينة تقوم على حرية الإختيار مع التذكير بصفات المرأة الصالحة .

﴿ فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ﴾⁽¹⁹⁹⁾ وتتم التزاماته بالرضى والقبول وشهادة الشهود والصداق المعلوم الذي فرضه الله تعالى وجعله من مال المرأة الخاص ، الذي لا يملك الرجل حق التصرف فيه إلا بإذنها فقال تعالى : ﴿ وأتوا النساء صدقاتهن نحلة ﴾ ، فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنئيا مريئا ﴾⁽²⁰⁰⁾ .

ومن حكمة التشريع الإسلامي أن لا يحدّد مقدارا معيّنًا في الصداق ، بل وكلّه إلى أعراف الناس وعاداتهم ، وحثهم على اليسر وخفة المؤونة ، وإعتبر ذلك من بركة المرأة فقال - عليه السلام - « خير النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهورا »⁽²⁰¹⁾ وما أضرب بجمعتائنا الإسلامية الحديثة إلا المغالاة في المهور والتباهي في مظاهر الزينة . وحصر الكفاءة وبناء الإنتقاء والإختيار على الرشاقة ، وعلى الوجاهة ووفرة المال . وتلك إحدى السمات التي طبعت

199 (سورة النساء الآية : 34 .

200 (سورة النساء الآية : 04 .

201 (رواه الطبراني .

المجتمع الجاهلي ، إذ امتهنت فيه حقوق المرأة وديست كرامتها ، وقهر فيه الأيتام واختلست موازين العدل ، فكان من أكد الأولويات في أحكام الإسلام ، تلك التشريعات التي ترد للمرأة مكاتها وتحفظ حقوقها ، وتسان بها أموال اليتامى والمستضعفين . فالغي ذلك العرف الذي يعتبر المرأة مجرد متاع يتصرف فيه الرجل كيف يشاء . وأمر الرجال أن يعاشروهن بالمعروف فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ، وَلَا تَعْضِلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مَبِينَةٍ ، وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا ، وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ ⁽²⁰²⁾ كما ضمن للمرأة اليتيمة حقها في مالها الموروث وصداقتها المعلوم فلا يجوز للرجل الوصي أن يتصرف في ذلك المال بغير رضاها فقال جل من قائل : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ، قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُوْتُوهُنَّ مَا كَتَبَ لهنَّ ، وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ ، وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ ، وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴾ ⁽²⁰³⁾ .

ودراً للمفاسد التي تنجر عن الزواج بذوات المحارم والذي كانت تمارسه كثير من الشعوب في الحضارات القديمة ، وحفاظاً على تلك الروابط الإجتماعية الحميمة التي تفرضها صلة الرحم . فتكتسب هالة من الإحترام والتقدير ، لا يمكن أن تدنسها نفايات الجسد من الشهوة البهيمية ، فإن النصوص في السورة الكريمة حددت ذلك الإطار الذي يحرم على الرجل المتزوج اختراقه إذ يختار شريكة حياته فقال تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ ، وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ ، وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرِّضَاعَةِ ، وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ ، وَرِبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ،

202 (سورة النساء الآية : 19 .

203 (سورة النساء الآية : 127 .

وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف
إن الله كان غفورا رحيما ، والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم ،
كتاب الله عليكم ، وأحلّ لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير
مسافحين ﴿ ٢٠٤ ﴾ - صدق الله العظيم - والآن وقد تكوّن العش العائلي على
فرض الله وسنة رسوله ، فكيف يتمّ تنظيمه وتسييره ؟

بعد أن سوى الله تعالى بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات ، وأقام
علاقتها على المودة والرحمة ، وكل مسؤولية البيت إلى الرجل بحكم ما يمتاز به من
الكدّ والعمل لتحقيق الرزق والتكفل بإنفاق العائلة وحماية ذمارها فقال
تعالى : ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض
وبما أنفقوا من أموالهم ﴾ ^(٢٠٥) إنها مسؤولية القوامة التي يقتضيها النظام في هذه
الخلية الإجتماعية التي سوف تمتدّ فروعها ، وبالتالي تتشعب التزاماتها بحيث لا
يبقى أمرها للفوضى واللامبالاة - إذن - لابد من إسناد القوامة إلى من يربعاها
على الوجه الأكمل . وليس في ذلك ما يغضّ من قيمة المرأة كما يحلو لدعاة التفسّخ
والإغلال ، أن يصوّروه لربّات الحجال . بل هو العدل والإنصاف لحقّهن ، وهو
التكافؤ الطبيعي في توزيع المسؤوليات والقيام على تكاليف الحياة . ولكن أنى
للرجال تلكم النساء الصالحات الواعيات اللائى يقفن عند حدود الله ويرضين
لأنفسهن بما قسم الله .

ومن حكمة التشريع في القرآن أن لا يغفل ذلك الجانب من الوضع المأساويّ
الذي تعيشه بعض الأسر ، والذي تسبّب فيه المرأة الفاسدة أو الرجل الأناني
الغشوم ، فأرشد الله تعالى إلى أنواع من التأديب والمصالحة لو وظفها المسلمون
في حياتهم الزوجية لدرأوا بها شرّاً كبيرا .
فاللهم لا تؤاخذنا بذنوبنا ، ولا بذنوب غيرنا ، ولا بما كسبت أيدينا ، ولا بما
فعل السفهاء منا ، إنك على كل شيء قدير .

204 (سورة النساء الآية : 23 .

205 (سورة النساء الآية : 34 .

الخطبة الثانية

إن الحمد لله ، نستغفره وتوب إليه ، ونستعين به ، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فهو المهتدي ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا . ونصلي ونسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد : فيأمة الإسلام لقد قرّر القرآن الكريم القاعدة الشاملة في تحديد الحقوق والواجبات في الحياة الزوجية فقال عزّ من قائل : ﴿ وهن مثل الذي عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة ﴾ ⁽²⁰⁶⁾ وكأ سلفنا فإن هذه الدرجة لاتعني السيطرة والقهر بل تعني تحمّل مسؤولية البيت والقيام بالمهام التي تصعب على المرأة سيما في فترات الحمل والوضع . غير أن الواقع المعيش في مجتمعاتنا الإسلامية أفرز تجاوزات خطيرة في ممارسة الرجل لسلطته البيتية بأنواع من الظلم والقهر للمرأة ومضارّتها في حقوقها الشرعية بمختلف الأساليب . كما أن المرأة الفاسدة في نشأتها وتربيتها قد أعطت صورة مشوّهة لحقائق الإسلام الواضحة في هذا المجال ، لا يمكن أن يتّهم بها ديننا في حال من الأحوال . فإن الله الخبير بعباده لم يغفل في إرشاداته ما يمكن أن تتعرض إليه الأسرة أحيانا من هزّات تقوى أو تضعف . وقد تمرّ عابرة فلا تكدر صفوا ولا تبتز عضوا ، وقد تكون عاصفة فلا تبقى ولا تذر . وفي كل حالة نجد السورة الكريمة تأخذ بأيدينا الى السياج الواقي ، أو الى العلاج الشافي ، وهي مترفقة حكيمة في مراعاة الطبيعة البشرية في كل أحوالها من الرضى والغضب ، ومن الحبّ أو الكره . فإذا جاء ناعق يريد أن ينتقص من قيمة منهج الله في تشريعاته الحكيمة ، فإننا لا نقيم له وزنا ولا نغير له أذنا . وحسبه من وعيد الله ماجاء في أول السورة ﴿ تلك حدود الله ، ومن يطع الله ورسوله ندخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ويتعدّ حدوده ندخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين ﴾ ⁽²⁰⁷⁾

206 (سورة البقرة الآية : 228 .

207 (سورة النساء الآية : 13 و 14 .

جعلنا الله من المتقين الأبرار ، وأدخلنا جناته التي تجري من تحتها الأنهار ،
ووقانا فتنة الأزواج والأولاد ، وشرَّ كل جاحد كفّار . ربنا هب لنا من أزواجنا
وذرياتنا قرّة أعين واجعلنا للمتقين إماما - الحمد لله ربّ العالمين - .

القرآن والرسول نور على نور

تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذي له ملك السموت والأرض ولم يتخذ ولدا ، ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا . نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، داعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا . صلى الله عليه وعلى آله وصحابه الأكرمين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد : فيأيتها الإخوة المؤمنون : كلنا يؤمن بما جاء به الرسول الكريم من وحي هذا القرآن ، وإنه لتنزيل رب العالمين ، لآياته الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تولى الله حفظه وتحدي به خلقه فلا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، وهو كما وصفه رسول الله في قوله : « هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم . من قال به صدق ، ومن عمل به رشد ، ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم »⁽²⁰⁸⁾ وجماع هذه المعاني أنه النور المبين في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾⁽²⁰⁹⁾ كما أن الرسول المنزل عليه نور يمشي على رجلين قال تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾⁽²¹⁰⁾ فهما نور على نور من مشكاة نور الله الذي أشرقت به الظلمات ، وصلاح عليه أمر الدنيا والآخرة . فما موقع البشرية اليوم من موكب هذا النور ؟ وماهي قبساتنا - نحن المسلمين - من معين هذا النور ؟ فالله الذي كرمنا بهذا النور المعنوي هو الذي متع خلائقه بالنور الهادي من وهج الشمس الذي لا يحجبه أحد عن أحد ، ولا يملك البشر تخزين طاقته ليتحكموا فيها حسب أهوائهم ، وكذا القرآن الكريم هو النور المعنوي الذي أضاء على ربوع العالمين، حين لغهم

(208) رواه الترمذي .

(209) سورة النساء الآية : 274 .

(210) سورة الحديد الآية : 15 .

ظلمات الجهل واحتوشتهم أباطيل الأوهام والخرافات ، فناداهم في لطف : ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ ⁽²¹¹⁾ وقبل ذلك كانوا عبيد تقاليد وعادات فاسدة لا ينفكون عن إسارها وهم في قبضتها يتخطون . لا يذوق طعم الحرية منهم ضعيف ، ولا تنال الرحمة امرأة منهم ولا يتيم ، فسمت بهم عقيدة التوحيد إلى مجالات الحرية والانعقاد ، فأدركوا معنى الكرامة الإنسانية وإندفعا كالتيار الجارف ينشرون ألويتها في الآفاق .

وكانوا على شفا حفرة من النار مُزَعًا وأشتاتًا لا تجمعهم قيم ولا مثل ، وهم لا يدينون إلا لعصية ممقوتة ، وتستفزهم الحمية الجاهلية فيتساوى لديهم حق الظالم والمظلوم ، وتختلط عليهم موازين العدل في تحديد مسؤولية الحاكم والمحكوم ، فأنتزهم القرآن من هذه الجاهلية ، وطهرهم من أرجاس فتنها حين رفع بينهم شعار الأخوة في الله والولاء للعقيدة ، والمساواة في الحقوق والواجبات فقال جل من قائل : ﴿ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ﴾ ⁽²¹²⁾ وقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، إعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ، إن الله خبير بما تعملون ﴾ ⁽²¹³⁾ .

تلك هي معجزة القرآن ، وهذه هي فيوض بركاته وأنوار هدايته ماتزال تتوهج من مشكاة نور الله تشع في ربوع العالمين كما تشرق الشمس بأنوارها ، وهي حجة الله على خلقه في رسم حدود الله على صراطه المستقيم ، ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ ⁽²¹⁴⁾ ولئن ضلت الإنسانية طريقها حين أعرضت عن هداية القرآن ، ولئن اغتدل المسلمون حين أهملوا الإحتكام إلى هذي القرآن ،

(211) سورة البائدة الآية : 16 .

(212) سورة الحجرات الآية : 10 .

(213) سورة البائدة الآية : 08 .

(214) سورة الانعام الآية : 153 .

فإن الشمس لا ينقص قدرها أن لا يراها الأعمى ، وإن القرآن لا ينطفئ نوره أن يضل عنه الأشقى : ﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾⁽²¹⁵⁾ ومها اجتهد المصلحون ، وتفنن الفلاسفة والحكماء في رسم معالم المجتمع الفاضل قديما وحديثا ، فإنهم لا يبلغون شأو القرآن الكريم في إدراك أسرار النفس الإنسانية وتشخيص مافطرت عليه من الطباع والميول ، ومازودت به من العواطف والأحاسيس ، فيقضي لكل حالة بما يلائمها من الآداب والأحكام ، ويضع لكل نزوة مايردعها من الضوابط والزواجر في دائرة الحلال والحرام .

فما لهذا الإنسان الظلوم الجهول لا يكاد يخضع لنداء الفطرة وهو مفتون بما عنده من العلم فأضل به قومه وماهدي ، بل أمعن في الغواية حين تنكر لوحي الله فتعسف واعتدي . ﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ماكانوا به يستهزءون ﴾⁽²¹⁶⁾ فهاهي الإنسانية اليوم تشكو البرحاء من كثرة العلل ، والمسلمون مستهم الضراء بتصارع الملل والنحل ، فما في غير القرآن شفاء لعليل . ومامن دونه عزة لذليل ، فسوف يطول السير بركب الإنسانية طلبا للسعادة والرخاء ، وسوف يظل المسلمون في متاهات التقليد جريا وراء العزة والكرامة والإباء . فلا يجد أحدهم ضالته مالم يسلك من هدي القرآن سبيلا ، ولم يتخذ من وصاياه وأحكامه دليلا . ذلك لأن الله تعالى كما جعل لكل داء دواء ، جعل من القرآن لأمراض الإنسانية شفاء . فقال جل من قائل : ﴿ يأيها الناس قد جاءكم موعظة وشفاء لما في الصدور وهدي ورحمة للمؤمنين ﴾⁽²¹⁷⁾ وقال : ﴿ ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا ﴾⁽²¹⁸⁾ وقال : ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ﴾⁽²¹⁹⁾ وصدق رسول الله حين قال : « من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به رشد ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم »

(216) سورة غافر الآية : 83 .

(218) سورة الاسراء الآية : 32 .

(215) سورة التوبة الآية : 32 .

(217) سورة يونس الآية : 57 .

قال أحد المفسرين في تفسير آية سورة الإسراء « وفي القرآن شفاء ، وفي القرآن رحمة لمن خالطت قلوبهم بشاشة الإيمان ، فأشرق وتفتحت لتلقى ما في القرآن من روح وطمأنينة وأمان ، في القرآن شفاء من الوسوسة والقلق والحيرة ، فهو يصل القلب بالله فيسكن ويطمئن ، ويستشعر الحماية والأمن ، ويرضى فيستروح الرضى من الله والرضى عن الحياة . فالقلق مرض ، والحيرة نصب ، والوسوسة داء ، ومن ثم هو رحمة للعالمين .

وفي القرآن شفاء من الهوى والدنس والطمع والحسد ونزعات الشيطان ، وهي من آفات القلب تصيبه بالمرض والضعف والتعب ، وتدفع به إلى التحطّم والبلى والإنهيار ، ومن ثم هو رحمة للمؤمنين ، وفي القرآن شفاء من الاتجاهات المختلفة في الشعور والتفكير . فهو يعصم العقل من الشطط ، ويطلق له الحرية في مجالاته المثمرة ، ويكفه عن إنفاق طاقته في المالا يجدى .

وفي القرآن شفاء من العلل الإجتماعية التي تخلخل بناء الجماعات وتذهب بسلامتها وأمنها وطمأنيتها ، فتعيش الجماعة في ظل نظامه الإجتماعي وعدالته الشاملة في سلامة وأمن وطمأنينة ومن ثم هو رحمة للمؤمنين « انتهى . ظلال القرآن ج 25 ص 60 هداني الله وإياكم بنور القرآن ، وشفى به صدورنا من علل الشيطان ، وجعلنا من عباد الرحمن .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي شرح صدورنا للإسلام ، وجعلنا من أمة القرآن ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن . ونصلي ونسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحابه أجمعين وبعد : فيأمة الإسلام ! يقول المولى تبارك وتعالى : ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما ﴾ ⁽²¹⁰⁾ فإذا كان رسول الله محمد - عليه السلام - حجة الله على خلقه وقد أرسله كافة للناس ، وكان هذا القرآن هو البلاغ المبين من رب العالمين فإن ذلك في حقنا - نحن المسلمين - أثبت وأؤكد .

إن لليهود أن يفتخروا بتوراتهم ، وللنصارى أن يعتزوا بأنجيلهم على ما فيها من تحريف وتبديل ، ولكن أن يتطاولوا علينا بأنهم أهل كتاب وأنهم شعب الله المختار ، وأنا نحن الأميون لاعزة لنا ولا فخار ، فهذا من السفه والكفران والجحود ، لا يصدر إلا من ظالم حسود . فلنستع إلى رب العزة كيف يقيم علينا الحجة ليرفع من شأننا بهذا الكتاب المبين . إذ يقول : ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك ، فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ، أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا ، وإن كنا عن دراستهم لغافلين ، أو تقولوا لو أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة ﴾ .⁽²³¹⁾

أجل لقد جاءتنا البينات من ربنا وشرفنا بهذا الكتاب حين وعيناه بقلوبنا ، وطبقنا تعالیه في أمور معاشنا ومعادنا ، فكنا في موكب الإنسانية الأعز والأهدى . فاین نحن اليوم من تلك الهداية والعزة ؟ لقد فتنا بحضارة أهل الكتاب واتبعنا خطوهم شبرا بشبر وذراعا بذراع ، فأصبحوا هم السادة ونحن الرعاة . فما موقفنا من برهان ربنا يوم الحساب بعد هذا التيه والضياع ؟ ألا فلتنق الله في كتابه فإنه الجبل المتين والعروة الوثقى للنجدة وال خلاص . ولنوله من العناية والتقديس تلاوة وحفظا ودراية وسلوكا ماتلين به القلوب وتتجاوب النفوس وتستثير البصائر . والله الهادي إلى سواء السبيل . فالكل منا يدعو مولاه عند الصبح بهذا الدعاء المأثور « رب ارحمني بترك المعاصي كلها ، وارحمي ما أبقيتني ، وارحمي إذا توفيتني ، وارحمي بترك ما لا يعينني ، وارزق قلبي حفظ كتابك كما علمتني ، واجعلني أتلوه على النحو الذي تحبه ويرضيك عني ، نور به بصري ، وشرح به صدري ، وأطلق به لساني واستعمل به بدني ، فإنه لا حول ولا قوة إلا بك يا أرحم الراحمين » .

فلتكن الأفعال مطابقة للأقوال ، ولنروّض أنفسنا على حسن الطاعة والإمتثال ، عسى الله تعالى أن يرزقنا خير الخواتم وحسن المال .
- والحمد لله رب العالمين -

كان القرآن خلق رسول الله

الحمد لله الذي أرسل رسوله رحمة للعالمين ، وأنزل عليه بالحق كتابه المبين . نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، كرمه ربه وشرّفه إذ قال : « وإن لك لأجرا غير ممنون ، وإنك لعلی خلق عظيم » - صلى الله عليه وعلى آله وصحابه أجمعين . وبعد : فيأليها الإخوة المؤمنون : سئلت أم المؤمنين عائشة - رضی الله عنها - عن خلق رسول الله ؟ فقالت للسائل : ألسن تقرأ القرآن ؟ قال بلى . قالت : فإن خلق بنى الله - عليه السلام - كان القرآن ⁽²³²⁾ ويشرح الإمام النووي معنى الحديث فيقول : « معناه العمل به والوقوف عند حدوده والتأدب بأدابه ، والإعتبار بأمثاله وقصصه ، وتدبره وحسن تلاوته » .⁽²³³⁾

نعم لقد توخى السائل معرفة الحقيقة النبوية حين سأل أم المؤمنين عائشة - رضی الله عنها - ومن أعرف منها بأخلاق رسول الله وهي محظيته بين أزواجه ، وهي لباسه في السر والعلن ، وهي العالمة الفقيهة في أمور الدين ؟ وحسبها في ذلك شهادة رسول الله حين قال لأصحابه : « خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » . ألا ماأبلغ هذا الجواب من أم المؤمنين ، فهو جامع لكل الفضائل التي جاء القرآن لتكريزها عقيدة وسلوكا ، وهو مانع لكل الرذائل التي نهى الله عنها . كل ذلك تجسد غودجا حيا في شخص رسول الله حتى من قبل أن ينزل القرآن وحيا يتلى وبلاغا من الله لخلقه ، وقد قطع الرسول من رحلة عمره ثلثي المسافة ، وهو في فترة التريص والإعداد في كنف الرعاية الربانية ، وفي حظيرة التطهير والتزكية الروحانية . فأى فضل من الله وأية رحمة منه غمرته وهو مايزال ذرا في أصلاب آبائه وأجداده ؟ ثم جنينا مباركا في بطن أمه ، ثم وليدا إهترت لبشراه الأرض والسموات ، ثم رضيعا توسمت فيه حلية أمارات الخير والنبيل والشهامة ،

(232) رواه مسلم .

(233) م 06 . باب صلاة الليل ص 26 .

وعاشت في ظل بركاته ماحباها عزاً وكرامة ، وجعلها تقتنع أنه طفل غير عادي ، وأنه ينطوي على سرّ تكشفه الأيام . وكيف هو في طور الشباب والمراهقة وموقفه من مجامع اللهو والفتون ، وقومه لا ينفكون عنها ولا يبرحون ؟

فيا للطهر والنقاء ! فقد أصبح في ذلك حديث القوم إجلالا وإكبارا ، ومجلى تفكيرهم واهتمامهم تحليلا واعتبارا . ولئن حرم حنان الأمومة وعطف الأبوة فقد أفاض الله عليه من أطافه وحسن رعايته ما واساه وآواه ، ومن فيض كرمه وفضله ما كفله وأغناه . قال تعالى ممتنّا عليه : ﴿ وَلَسَوْفَ يَعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ، أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ، وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ، وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ ⁽²³⁴⁾ وإذا كان الإنسان ابن بيئته فإن الرسول الشاب - وهو يصنع على عيني الله ويصنع بصغته - كانت لا تغويه فجرات الشباب ولا تستقرّه نزواتهم وهو سليل الحسب والنسب ، ولا يتناول وهو في الذروة من شرف العرب . عرفه قومه شهما أيّا حين رأوه يعتمد على نفسه في توفير لقمة العيش راعيا لأغنامهم ، ثم تاجرا بأموال خديجة ، وخبروه مدبرا حكيما حين ارتضوه حكما بينهم في وضع الحجر الأسود في مكانه من الكعبة ، ونعتوه بالصادق الأمين حين لم يجربوا عليه خيانة ولا كذبة . فأى سرّ ينطوي عليه هذا النموذج الفذ من الرجال ؟

سؤال سوف تجيب عنه الأيام ، وتكشف عنه سجع الغيب كما قدرته المشيئة الإلهية في الزمان والمكان ، وهاهو الرسول الشاب يبني عش الزوجية مع سيّدة من أرقى سيدات قریش حسبا ومالا فيلقي في كنفها المودة والرحمة ويذوق طعم السعادة والهناء ، ويعرف حنان الأبوة وزينة الأبناء . غير أن مظاهر الحياة وتبهرتها المألوفة في أمّ القرى على ما فيها من بعض الطقوس الروحية الموروثة ، أصبحت لا تشبع الروح المتلهفة إلى إدراك السرّ المكنون وراء ذلك الوجود الهاديّ الموار ، وعلى توالى الأيام واختلاف الليل والنهار يكتهل الرسول الشاب ،

فتزداد روحه تألقاً وإشراقاً ، وينظر حواليه فلا يجد إلا ركاما من الأباطيل والخرافات ، أضفى عليها التقليد الأعمى لإرت الأجداد حرمة وقداسة ، ولا يشاهد إلا أشباحاً تحرّكها الغرائز والشهوات فلا تكسبها إلا شقاء وتعاسة . وحين لا يتجاوب الإنسان مع بيئته ولا يتأقلم مع الواقع المعيش ، فإن الرفض الوجداني يلحّ عليه ويلجّ حتى ينفجر ثورة جاححة تطلب التغيير وتهي لتحقيقه . وفي غار حراء بعيداً عن صخب المدينة وأعباء الحياة تجد الروح المتوهجة متعتها ولذتها في التأمل والنظر . ألا ما أصعب طريق السالكين وما أشدّ معاناتهم في الرياضة الروحية ! وحسبك من خمس سنوات قضّاها الرسول في خلوته بغار حراء ، ويد الله ترشده في مسالك الطريق ليصل إلى الحظيرة القدسية حين يتلقى خبر السماء ، وهو أمام ظاهرة الوحي بين الخوف والرجاء . فأية بشرى إهتزت لها الأرض والسموات وأية ثورة تترقبها البشرية وقد كبّلتها يد الظلم والطغيان ، وأوقعتها عادات الجاهلية في حبال الشيطان ، فهاهو النور المبين يمزق سجب الظلام ثم يشرق ساطعاً وهّاجاً ينير ربوع العالمين .

وتفرك الإنسانية عينها لتتبيّن الرشد من الغيِّ ، وتتحسس مواطئ أقدامها لتستبين سبيل الحق والعدل ، فإن الحيّ القيوم الذي رفع السماء ووضع الميزان ، لا يترك أرضه بؤرة للكفر والفسوق والعصيان ، ولا يسلم خلقه طعمة للظلم والطغيان وهو القائل جلّ وعلا : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾ ⁽²³⁵⁾ فهاهو الرسول المتقدّ جاء ليصحّح المسار الإنساني ويحدّو به إلى فضاء الحرية والإنعتاق ، ثم يضع له موازين الحق والعدل ويركّز فضائل الأخلاق . إنه الحدث العظيم الذي سوف يقلب الأوضاع ويغيّر الطبائع يوم يعرف الإنسان طريقه إلى الله ، ويردّد مع الوجود ، تسايح الحمد والثناء للربّ المعبود .

فيا السعادة من استجاب لرسول الله ، ويا الشقاوة من نكص على عقبيه واتخذ إلهه هواه . فلا عجب أن تكون تلك الإشراقة الأولى لهذا النور في حيّزها الزمني ومآلها من عظيم القدر ، هي عند الله خير من ألف شهر .

وقت كلمة ربك الحسنی على المؤمنین ویعلنها الوحي بشري سعيده على العالمين : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ .⁽²³⁶⁾

الخطبة الثانية

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، وشهد الله لرسوله بالخلق العظيم فحسبه بذلك شرفا وكفى . نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله . صلى الله عليه وعلى آله وصحابه أولى الصدق والإخلاص والوفاء . وبعد : فيأمة القرآن : لم تكن دعوة نبيكم نصائح باهتة ولا أقوالا مجردة ، بل نزلت من السماء حية نابضة ، وتمثلت في سيرة الرسول سلوكا وأخلاقا مجسدة ، كما قالت أم المؤمنین عائشة لسائلها ، كان خلقه القرآن فلو تتبعنا سيرته العطرة من بداية الوحي إلى منتهاه لوجدنا سجلا حافلا بتلك الأخلاق العظيمة في كل جوانب حياته الخاصة والعامة . ومهما تحدثت الأيام وتنافست الأفكار والأقلام في إبراز جوانب شخصيته العظيمة ، فستظل مبهوتة عاجزة كما قال الإمام البوصيري :

أعياء الوری فهم معناه فليس يرى
فإن فضل رسول الله ليس له
وصدق الله العظيم حين قال له : ﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما ﴾ .⁽²³⁷⁾

لقد كان خلقه القرآن حين نزل عليه قوله تعالى : ﴿ إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولی الألباب ، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ﴾ .⁽²³⁸⁾

236 (سورة التوبة الآية : 128 .

237 (سورة النساء الآية : 113 .

238 (سورة آل عمران الآية : 190 .

فكان يذمّن النظر في ملكوت الله ويسبّح بحمده ويذكره في كل لحظة من ليل أو نهار ، وفي كل حركة أو سكون في أرجاء هذا الكون الموّار ، حتى ما يكاد يعطي نفسه حظها من المتعة البريئة والإبتسامة الوديدة في خلوته بأهله أو مجلسه من أصحابه حين تطوّح بهم النزعة البشرية فيغرقون - أحيانا - في المزاح والضحك فيقول لهم « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا وبيكيتم كثيرا » . وكان خلقه القرآن حين أمره الله عند منطلق دعوته ، وقومه في علوّ واستكبار وإعراض ونفار فقال جلّ من قائل : ﴿ فاصبر على ما يقولون وسبّح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، ومن آناء الليل فسبّح وأطراف النهار لعلك ترضى ، ولا تمدن عينيك إلى مامتنعا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى ، وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ، لا نسالك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ﴾ .⁽²³⁹⁾

فقد شرب - عليه السلام - كأس الإهانة والأذى حتى الثمالة ، وكلما حزّبه أمر فزع إلى الله في صلاته يبتهل ويتهجّد حتى تورمت قدماه ، ثم يدعو ربّه بالهداية لقومه فيقول « اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون » وحسبك بدعائه في عام الحزن بعد محنة الطائف . وهو يقول : « إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن يحلّ عليّ غضبك أو ينزل عليّ سخطك . لك العتيبي حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » . وكان خلقه القرآن حين رسم الله منهج دعوته وركّزها على الحوار البناء والإقناع الهاديء الحكيم فقال جلّ من قائل : ﴿ ادع إلى سبيل بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾⁽²⁴⁰⁾ وقال : ﴿ فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر ﴾⁽²⁴¹⁾ فلم يغلظ القول ولم يعنّف ، كما لم يدهن ولم يلجأ

(239) سورة طه الآية : 13 إلى 132 .

(240) سورة النحل الآية : 125 .

(241) سورة الغاشية الآية : 21 - 22 .

إلى المناورة والدس والكيد ، بل يذهب يعرض نفسه على القبائل ويراسل ملوك الأرض أن أعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً .

وكان خلقه القرآن حين علمه الله كيف يستميل الناس إلى دعوته ، وكيف يعامل قومه الأقربين على غلظتهم ونفورهم فقال عز من قائل : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضتوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ﴾ ⁽²⁴²⁾ وحين قال له : ﴿ واخفض جناحك للمؤمنين ﴾ ⁽²⁴³⁾ .

فكان في سلمه وحربه لا يبرم أمراً إلا بمشورتهم ، وكان يتفقد أحوالهم في السراء والضراء ، ويجزل لهم العطاء ، ولا يحابي أهله بشيء يميزهم عن بقية الشركاء ، ويخفف من اضطراب الذين يهابونه فيقول : « هونوا عليكم إني ولد لامرأة من قريش كانت تأكل القديد » ، ويقول لهم : « لا تقوموا كما تقوم الأعاجم ، يعظم بعضهم بعضاً » . وكان خلقه القرآن حين أذن الله له بقتال أعدائه فقال جل من قائل : ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ ⁽²⁴⁴⁾ .

فأحكم الخطة وأعدّ العدة وقاد الجيوش بحنكة ومهارة . فذاق حلاوة النصر كما أراه الله مرارة الهزيمة ، فمازلت به قدم ولا فلت له عزيمة . بل هو الذي شرع للبشرية حقوق الإنسان في السلم والحرب كما أمره ربّ العالمين . ويتحقق الفتح المبين فإذا بالأصنام تتهاوى ، وإذا بالسادة الكبراء من قومه يكسوهم الخزي والعار ، وهم ينتظرون جزاءهم من الفاتح الظافر حين سألهم ، « ماترون أني فاعل بكم » ؟ وكان خلقه القرآن إذ قال ربّ العزة : ﴿ فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ﴾ ⁽²⁴⁵⁾ فأرسلها الرسول العظيم أمام قومه «إذهبوا فانتم الطلقاء» .

242 (سورة آل عمران الآية : 159 .

243 (سورة الحجر : الآية : 88 .

244 (سورة التوبة الآية : 73 .

245 (سورة الشورى الآية : 40 .

وتأتي حجة الوداع في السنة العاشرة ، ويستكمل النور الإلهي شحنته وطاقته في التوهج والإشراق ، ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ ⁽²⁴⁶⁾ ويحسّ الرسول الكريم بانتهاء مهمته ودنو أجله فيرسلها على مسمع الدنيا في ملا من أصحابه بعرفات ، يرسلها صيحة مدوية تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً كتاب الله وسنتي . وكل بند من بنود وصيته الكبرى لأُمته إنما هو تركيز لأخلاق القرآن وتوطيد لأركان مبادئه . وبيان لإرشاداته . فهل بعد ذلك من عذر لأمة القرآن إن هي نامت وتقاعت ، وهل القرآن ملوم إن هي هانت وتخاذلت ؟ - كلا - فإن سنن الله في النصر والهزيمة لا تتخلف . فإما كفاح وإصلاح وتغيير ، وإما ضنك وشقاء وسوء مصير . ﴿ وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ . ⁽²⁴⁷⁾

اللهم إليك نشكو ضعف قوتنا وقلة حيلتنا وهواننا على الناس ، يا أرحم الراحمين . أنت ربّ المستضعفين وأنت ربنا . إلى من تكلنا ؟ إلى بعيد يتجهّمنا أم إلى عدوّ ملكته أمرنا . إن لم يكن بك غضب علينا فلا نبالي ، ولكن عافيتك أوسع لنا . ونعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بنا غضبك أو يحلّ علينا سخطك . لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك .

اللهم أقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به رحمتك ، ومن اليقين والتوكل عليك ما تهوّن به علينا مصائب الدنيا وأحوال الآخرة . متعنا اللهم بأسماعنا وأبصارنا وعقولنا وقوة أبداننا في طاعتك ما أبقيتنا واجعل ذلك الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همّنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تسلط علينا شرّ خلقك من لا يخافك ولا يرحمنا يا أرحم الراحمين ، - والحمد لله رب العالمين - .

246 (سورة البائدة الآية 03 .

247 (سورة محمد الآية 38 .

أَمَّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَا ؟

بعد النجاح الباهر الذي حققه الشعب الجزائري في الإنتخابات الرئاسية يوم 16 نوفمبر 1995 ، والمواطنون كلهم أمل ورجاء لانفراج الأزمة الوطنية وهدوء العاصفة داخل الأسرة الجزائرية ، أُلقيت هذا الخطاب يوم الجمعة 24 جمادى الثانية 1416 17 نوفمبر 1995 م .

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول ، يكشف الضر عن البائسين إذا أخلصوا إليه في السؤل ، نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد خير الأنبياء ، وأفضل الرسل ، وعلى آله وأصحابه أنصار الحق والعدل .

وبعد : فيأيتها الإخوة المؤمنون : يقول المولى تبارك وتعالى في سورة النمل : ﴿ أَمَّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَا وَيَكْشِفُ السُّوءَ ، وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ، أَلَيْهَ مَعِ اللَّهُ ؟ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ، أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمِنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ تَنْشِيرِينَ يَدِي رَحْمَتِهِ ؟ أَلَيْهَ مَعِ اللَّهُ ؟ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ النمل الآية 62 صدق الله العظيم .

تلوت هاتين الآيتين الكريمتين ففتحت علي آفاقا من التأمل في أسرار القرآن وبلاغة إعجازه ، ومدى تأثيره السحري في نفس المؤمن حين يتقمص روحه ويتجاوب مع معانيه . إذ تدبّرت حالة شعبنا العزيز وهو يعاني من أزمات وفتن عمياء ، ويعيش في جو مغبر الأديم مطرّز الحواشي بالدموع والدماء . ولكنه على إشتداد قبضة المحن لم يفقد الأمل والرجاء . وتلك شية من شيم هذا الشعب الأبّي الكريم هي ثرة الإيمان المستكن في أرومته ، وإن رانت عليه بعض الشوائب ، وهي قبس من شعلة ذلك النور الإلهي الساطع على هذه الربوع الطيبة وإن تناوشته - أحيانا - بعض الحواجب .

وعند اشتداد الضوايق واحتدام الأزمات يستجيب الإنسان لنداء الفطرة . يقول المولى تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ ، وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾ فصلّت الآية 51 .

أجل - لطالما التمس هذا الشعب منفذه من شر ماوقع فيه ، ولكنه لم يجد عند وسائل الخلق ما يغييه ، وهو الذى يقرأ فى كتابه المقدس : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ، أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ، أيهم أقرب ؟ ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، إن عذاب ربك كان محذورا ﴾ الاسراء 56 - 57 .

لقد عرف هذا الشعب الكريم أن لا منقذ إلا الله حين تحرق دعوات المظلومين حجب الغيب تستغيث بالقوي الجبار ، وتعز بالواحد القهار ، لقد تذكر ذلك بعد غفلة ونسيان ، ولانت عريكته بعد تمرّد وطغيان . فلا عجب أن ينزغ الشيطان - أحيانا - بين الإخوة حين يظنون بأيهم أورايعهم الظنون ، فيتلاومون أو يتصارعون ، وهم عن نداء العقل معرضون ، حتى إذا أثنوا بعضهم جراحا ، ولم يجدوا فى ذلك خيرا لأنفسهم ولا صلاحا ، ثابوا إلى رشدهم ، وتحركت عاطفة الحنين إلى بعضهم ، فعملوا لإصلاح النفوس وجبر الخواطر ، وليس لهم فى غير حمائم من قوة ولا ناصر . وعلى قدر مضاضة الظلم بين ذوى القربى ، وممرارة التلاحى والقسوة حين تتيه النفوس فى متاهات التجافى والنفور ، فانها سوف تصغو وتتلاحم حين تعود إلى وعيها وتصحو من غفوتها ، وقد ضرب الله لذلك مثلا فى القرآن الكريم ، بإخوة يوسف حين دبّروا أمرهم وغالطوا والدهم حين جاؤوا على قميصه بدم كذب . ولكن رعاية الله تهيئ يوسف لأمر عظيم . ورجاء الوالد المفجوع الكئيب لم ينقطع عن الله فى الوقت العصيب . لقد برّح به الحزن بفقدان ولده إلى حدّ القنوت ، وهو لا يفتأ يلقن أولاده كيف يفعل الرجاء فى النفوس البائسة ، وكيف يحيى الأمل القلوب اليائسة ، فكان بينهم هذا الحوار الطيب النديّ : ﴿ قالوا تالله تفتقر تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين . قال إنما أشكو بثي وحزنى إلى الله ، وأعلم من الله ما لا تعلمون يابنى اذهبوا فتحسّسوا من يوسف وأخيه ولا تأئسوا من روح الله ، إنه لا يائس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾ يوسف الآيات 85 - 86 - 87

فياهلول ما عاناه يوسف - عليه السلام - في غيابات الجب وظلمات السجن بغيا وعدوانا ، وماتعرض إليه من فتنة المال والجمال وحظوة الملك . فكان ذلك هو المحك الذي خبر معدنه ليصبح راعي الحمي ورائد الأجيال ، وهو في كل ذلك مدين إلى ربّ العزة والجلال . قال تعالى ﴿ وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث ، والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ يوسف الآية 21 لقد أقرّ لإخوته بفضل الله عليه ، حين كشف عن هويته لإخوته وقد سألوه : ﴿ أأنك لأنت يوسف ؟ قال : أنا يوسف وهذا أخي ، قد منّ الله علينا . إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ يوسف الآية 90 .

أيها الإخوة المؤمنون : لقد كان شعبنا شعبا نبلا نبلا أبناء يعقوب وشهامة أخيه يوسف حين أكرم مثواهم وجع شتات الأسرة بعد تصدّع وفراق ، وهو المكين الأمين على عرش مصر ، والحفيظ العليم على خزائنها . والآن - أيها الإخوة - وقد أجاب الله المضطرّ وكشف السوء ، ولاحت تباشير الأمل على وطننا المفدّي فهل نقول لبعضنا البعض كما قال يوسف لإخوته : ﴿ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ﴾ ذلك مانرجوه من شعبنا الكريم ومن قيادته الحكيمة . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء ، ولا يترددون في الشكر لله كما شكره يوسف في لمّ شتات أسرته وهو يقول : ﴿ يابأت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربّي حقا ، وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن ، وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي ، إن ربّي لطيف لما يشاء ، إنه هو العليم الحكيم ، ربّ قد أتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث ، فاطر السماوات والأرض ، أنت ولي في الدنيا والآخرة ، توفي مسلما وألحقني بالصالحين ﴾ يوسف الآيات 100 - 101 .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ، ويزيد من فضله للذين آمنوا وعملوا الصالحات . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله اللهم صل وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وأصحابه ومن إتبع هداهم إلى يوم الدين ، وبعد فيأمة القرآن بالأمس خرجنا نجاراً إلى الله لينزل علينا الغيث وقد كاد موسم الحرث يتخلف . ﴿ ومن يرسل الرياح نشرًا بين يدي رحمته ؟ أإله مع الله ؟ تعالى الله عما يشركون ﴾ النمل الآية 63 فاعجب - أيها المسلم - لبيان القرآن كيف ربط بين قدرة الله في إجابة المضطّر وكشف سوء ، وبين تلك الظاهرة الطبيعية من نشر السحب ونزول الأمطار . وهل أقسى على المجتمعات البشرية من وطأة الجوع والخوف ؟ وهل للمؤمن ملاذ منها غير الله ربّ العرش العظيم ؟ فإذا كان الجوع بئيس الضجيع كما ورد في حديث رسول الله ، فإن الخوف بئيس القرين يجرّ إلى مصارع سوء ، حين تضطرب موازين العدل ويختل حبل الأمن ، ومن للمستضعفين في الأرض غير القوي الجبار ؟ ومن ثمّ تجرّ حكمة هذا الدين الحنيف في تربية النفوس حين شرع للمؤمنين في مثل هذه الضوائق أنواعاً من الصلوات توجّههم إلى الله الذي يملك الأمر وحده في الأرض والسموات !

قد يغفل الإنسان حين تجرّ الأقدار على طبيعتها في ليل أو نهار ، وفي صيف أو شتاء ، وقد يطغى حين يضمن إحتياجاته من الماء والغذاء والدواء ، فيدعى القوة والجاه ، ثم يتغى الوسيلة إلى غير الله ، وهيئات هيهات لما يدعيه ، وهيئات لغير خزائن الله أن تطعمه أو تسقيه !

فإذا كان الدعاء الحارّ من الكلم الطيّب الذي يصعد إلى الله ، فإن العمل الصالح هو الذي يرفعه إليه ، فيستجيب ويحقق الرجاء .

اللهم إننا نضرع إليك فلا تخيب رجاءنا ، اللهم ربنا قد مسنا الضرّ وأنت أرحم الراحمين ، اللهم أنشر علينا رحمتك وأنزل علينا بركاتك وأتم علينا نعمك وألبسنا عافيتك يا أكرم المسؤولين ويا خير المعطين . - والحمد لله ربّ العالمين -

في اليوم العالمي للمعوقين (فاتح ديسمبر 1995)

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير ، يعلم ما في السماوات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون ، والله عليم بذات الصدور . نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن سيدنا محمدًا عبده ورسوله . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد : فيأتيها الإخوة المؤمنون : لقد أصبح من التقاليد العصرية على المستوى العالمي تخصيص أيام لمختلف الإهتمامات والنشاطات ، من شأنها أن تلفت إنتباه الشعوب وتشجدهم لبعض ما يجب عليها من بذل الجهود والأموال إما في مجالات حيوية كالصحة والتربية والمحافظة على البيئة ، أو لشرائح إجتماعية معينة غالباً ما تتعرض للإهمال والتسيب كالمرأة والطفولة والمعوقين . ففي مجرى هذا الأسبوع عشنا اليوم العالمي للمعوقين . ومن منا - برّبكم - لا يفزعه العدد المهول لهذه الشريحة الكئيبة في بلادنا ، إذ أصبحت تمثل العشر من تعداد السكان ؟ ومن منا لم يتحرّق قلبه أسى وشفقة لهؤلاء المصابين البائسين ؟ وهو يشاهدهم على الشاشة الوطنية ، وقد عاشوا في يومهم هذا فترات من البهجة والسرور ، إذ أحسّوا بذلك القدر من الإهتمام والرعاية والعطف من طرف إخوانهم في المجتمع . ولا يتأتى السكّن النفسى لهذا الإنسان ، مهما كانت أحواله إلا في ذلك الجو العائلي الفطري الذي تسوده المودة والرحمة ، ويظلمه العطف والحنان .

- أيها الإخوة المؤمنون - لسنا من أولئك الذين يرفضون كل دخيل من النظم ولو تحقق نفعها وإستباتت فائدتها . لأن تخصيص هذه الأيام العالمية على مدار السنة وتجنيد وسائل الإعلام للكشف عن أبعادها وبيان أهدافها ، من شأنه أن يقوي الحسّ المدني في الجماهير الشعبية ، وينمّي التكافل الإجتماعي لدى الشعوب والأمم ، فلا تشعر الفئمة الضعيفة المعوقة بالكآبة والإبتئاس ، حين تجد نفسها متمتعة بكل الحظوظ والفرص التي يتمتع بها الناس . وإنما الذي نخشاه

أن تعتقد أجيالنا الحاضرة أن هذا التنظيم العصريّ المتميز هو من إفرازات الحضارة الأوروبية الراقية ، وليس للحضارة الإسلامية ماضٍ مجيد ، في هذا المجال الحميد . كلاً ! فعلى رسلكم - أيها المفتونون ، وقد قيل قديماً : الناس أعداء لما يجهلون . فلنستمع إلى هذه التوجيهات الإلهية والإرشادات النبوية ، ثم لنستنطق شواهد التاريخ الوطنيّ لحضارتنا ففي ذلك أقوى دليل على أن هؤلاء القوم من مواردنا يستقون ، ومن مشكأتنا يقتبسون .

أيها المؤمنون : إن أول ما عني به ديننا الحنيف هو تركيز العقيدة الصحيحة في وحدانية الله وقدرته وبذلك الأسلوب البسيط الذي يخاطب العقل الإنساني ويتدرج معه بوسائل الإقناع في حدود مدركاته ، وبآلياته المنطقية ، فلا تعقيد ولا إستعصاء ، ولا مهاترة ولا مرأى . ففي بديع خلقه هذا الإنسان يقول ربّ العزة : ﴿ يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم ، الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك ﴾ سورة الانفطار الآيات 6- 7- 8 . أجل ! إنه الكرم الإلهيّ وفضله العميم أن يمنح هذه الصورة البديعة للإنسان ، وهو لا يكاد يشعر بواقعه الممتاز أمام الكائنات الأخرى ، ومن ثمّ فهو لا يشكر نعمة المنعم . ولم تقتصر النصوص القرآنية على لفت النظر إلى الجانب الهاديّ المجسّد لبنية الإنسان ، بل حدا بالعقل الإنساني إلى إدراك ما خفي من شؤون خلقه حتى وهو ذرّ في أصلاب آبائه أو جنين في بطن أمه ، مما اعتبره علماء الحياة من الإعجاز العلميّ البديع في القرآن الكريم يقول تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفةعلقة ، فخلقناعلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً ، فكسونا العظام لحماً ، ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ سورة المؤمنون الآيات 12- 13- 14- 15 . ويقول في سورة الطارق ﴿ فليُنظر الإنسان ممّ خلق ؟ خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب ، إنه على رجعه لقادر ﴾ الآيات 5- 6- 7- 8 . وأعجب من ذلك المظهر الهاديّ القويم تلکم النفخة العلوية من روح الله ، وهي متغلغلة مستكنة في ذواتنا .

ولا يعلم سرّها إلا العالم القدير : ﴿ ويسألونك على الروح ، قل الروح من أمر ربّي ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ الإسراء الآية 85 .
وصدق الذي قال :

وداؤك فيك وماتبصر وداؤك منك وماتشعر
وتزعم أنك جرم صغير وفيك إنطوى العالم الأكبر
فماغرك أيها الإنسان بهذا الربّ الكريم ، حتى أصبحت له شرّ خصيم ؟ ألم يجعل لك هذه الأرض مهاداً ذلولاً ، لتصبح فيها خليفته ، إذ حملت الأمانة وكنت ظلوماً جهولاً ؟ ولو شاء الله لخلقك على أبشع صورة أو لذهب بسمعك وبصرك ، فلا تملك كشف الضرّ عنك ولا تحويلاً . وهل هؤلاء المعوقين من حولك قد اختاروا لأنفسهم ما هم عليه ؟ وهل يملك أولياؤهم إصلاح ما أَرادته مشيئة الله ؟ كلا ! بل هو الله العليم الحكيم ، لا ينازع في أمره ، ولا يراجع في قضائه .

نعم ! قد نكره ما يصيبنا في ليل أو نهار ، وقد لا نتحمّل سوء المنظر في المال والأهل والولد ، ولكن المؤمن الوفي لا يسخط القدر المقدور ، وإن حاول أن يدرأ عن نفسه الشرور . لأنه يؤمن بقوله تعالى : ﴿ قل لن يصيبنا إلا ماكتبه الله لنا ، هو مولانا ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ التوبة الآية 51 . وبقوله في سورة البقرة ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرّ لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ الآية 214 - صدق الله العظيم - .

ألا ما أعدل حكم الله ، وما أوسع علمه وحكمته ! فلنستمع إلى هذا الحديث القدسي الذي يكشف لنا كيف يدبّر الله شؤون خلقه . إذ يقول تعالى : « إن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلحه إلا الغنى ، ولو أفقرته لأفسده ، وإن من عبادي لمن لا يصلحه إلا الفقر ، ولو بسطت له لأفسده ذلك . وإن من عبادي لمن لا يصلحه إلا الصحة ، ولو أسقمته لأفسده ذلك ، إن من عبادي لمن لا يصلحه إلا السقم ، ولو صححته لأفسده ذلك ، إني أدبّر عبادي بعلمي بقلوبهم إني عليم خبير » رواه الطبراني والبيهقي

اللهم يامدبر الأمور ، دبر لنا أحسن التدبير ، وهون علينا كل أمر عسير ،
والطف بنا في ماجرت به علينا من عندك المقادير ، اللهم أرضنا بما قسمت لنا ،
وقنعنا بما أعطيتنا ، فإنه لا حول ولا قوة إلا بك .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه ، ولا يخيب من لا ذبحاه وتشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه
وعلى أصحابه ومن والاه .

وبعد : فيأيها الشعب الكريم . إن لله في تدبير أمور خلقه شؤوناً ، وفي
تسيير ملكوته سنناً وقوانيناً . خلق الموت والحياة ، وجعل الظلمات والنور ،
وكتب على خلقه أن يبتليهم في أنفسهم وأموالهم وأهلهم فقال جل من
قائل : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ
أَخْبَارَكُمْ ﴾ سورة محمد 31 ، فخير مانوص به إخواننا وأبناءنا المعوقين ، أن
يلوذوا بحمى الله في مايعانونه من المتاعب والمشقات ، وبعد أن يستنفدوا
جهدهم في الأخذ بالوسائل الضرورية التي تخفف عنهم المعاناة ، ومن رحمة الله
بهم أن وضع عنهم الحرج في القيام بالتكاليف إلا بقدر ما يستطيعون فقال جل
من قائل : ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ ، وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ ، وَلَا عَلَى
الْمَرِيضِ حَرْجٌ ﴾ سورة الفتح الآية ، 17 وإن لهم الأجر العظيم عند الله إن هم
رضوا بما آتاهم الله وصبروا على ما قدر لهم الله . وحسبكم من العزاء والصبر مارواه
الرسول عن ربه في الحديث القدسي : « إذا وجهت إلى عبد من عبادي
مصيبه في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل ، استحييت
منه يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً أو أنشر له ديواناً » رواه الترمذى
والديلمى ويقول : « إن الله عز وجل قال إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه
فصبر عوضته منها الجنة » - رواه البخاري - وهل أروح على النفس

الكثيبة والقلب الجريح من برد القناعة والرضى ؟ وهل أفضل منزلة عند الله من عبد يمنح يوم القيامة منزلة الصديقين والشهداء ؟ فقد جاء في الحديث القدسي « إن أول شيء كتب الله في اللوح المحفوظ هو بسم الله الرحمن الرحيم إن من إستسلم لقضائي ، ورضي بحكمي ، وصبر على بلائي بعثته يوم القيامة مع الصديقين » - رواه الديلمي - .

فيا معشر المصابين ! هذا جزاؤكم عند الله إن شكرتم وأمنتم ويأياها المعافون الآمنون . كيف تؤدون ضريبة الصحة والعافية ؟ إن هذه الشريحة الإجتماعية هي أحوج الناس إلى عطفنا وإهتمامنا . فهي لا تقل شقاء وحرمانا عن الأرملة واليتيم ، وقد علمتم ما في مؤاساة هؤلاء من عظيم الأجر عند الله ، وجزيل النفع للمجتمع ، فلا تبخلوا عليهم بما عندكم من الفضل ، فإن البر لا يبلي والفضل لا ينسي ، وما عند الله خير وأبقى . فاجتمعنا قد قامت دعائمه - بفضل الله - من أول يوم على التكافل الإجتماعي كما أمر به الدين الحنيف .

وكل انحراف منا عن هذا الخط السوي ، وكل تقصير في هذا المجال سوف نحني ثماره بغضا ونفورا ثم خرابا وتدميرا .

اللهم إنا نعوذ بك من الشقاق والنفاق ، ومن سوء الأخلاق وتضييق الأرزاق ، وزوال النعم وحلول النقم . ربّ اجعل هذا بلدا آمنا وأرزق أهله من الثمرات يامفرج الكربات ويا مجيب الدعوات .

- والحمد لله رب العالمين -

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين .
يقول تعالى في محكم كتابه الكريم ﴿ إن في إختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض لآيات لقوم يتقون ﴾ سورة يونس الآية 06 .
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ، ومن تبع هداهم إلى يوم الدين ، أما بعد : فيأياها الإخوة المؤمنون : ما ألقى في نفوسنا مراودة الآمال قبل أن تنتهي إلى آجالها ! وما أسعد الإنسان الذي سعى لتحقيق أماله بكل ما يملكه من طاقة وجهد ، ومن فهم وإدراك فنال مبتغاه وحقق ما يبتناه . وبإخيلة الأعمار لمن تواني وتقاعس وأفني وقته في السفاسف واللغو ، وخدع نفسه بالأمان الكاذبة ، ثم رجع بخفي حنين ، خاوي الوفاض صفر الكفين ، وقد أقسم الله - سبحانه وتعالى - بالعصر ، أن الإنسان لفي خسر ، ما لم يدرك أنه يسير حثيثا إلى الله وأنه ملاقيه ، وأن الزاد الذي يضمن به النجاة في تلك الرحلة إنما هو الإيمان والعمل الصالح وأن اللحمة التي تشد المؤمنين بعضهم إلى بعض إنما هي التواصي بالحق والتواصي بالصبر فقال جل من قائل : ﴿ والعصر ، إن الإنسان لفي خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ سورة العصر الآيات 1-2-3 .

فجدير بنا ونحن على أبواب العطلة الصيفية أن نقف وقفة تأمل وإعتبار ، وتتناول مسيرتنا بالتقييم والتقدير ، فليس في دورة الفلك خلل ولا فتور ، وليس في بديع صنع الله تفاوت ولا فطور . فإذا كنتم - أيها الأولياء - تسرون لحصيلتكم السنوية من الأرباح المادية ، وتولون لذلك إهتمامكم البالغ ، وقد تأسون على ما فاتكم مما توقعونه أو ترجونه ، فإن حصيلة أولادكم من النجاحات العلمية والتربوية هي أولى بالتقدير والإهتمام ، لأنهم ذخركم في الملمات ، ومعقد آمالكم في مجالات الحياة ، وإمتداد ذكركم بعد الملمات .

أيها الأبناء الأعزاء . بالأمس القريب إحتضنتكم المؤسسات التربوية بكل شوق وحنان ، فوجدتم في أكنافها كل رعاية وهناء ، ووفرت لكم من خيراتها كل غذاء ورواء ، فهاهي مرة أخرى تسلمكم إلى أوليائكم بعد الفطام ، وتستوصي بكم خيراً آبائكم الكرام . فطوبى لمن جدّ واجتهد منكم فحمل على صدره شارة النجاح ، وضمن لمسار دراسته مواصلة الطريق إلى الغاية النبيلة والنهاية السعيدة . فهاهو ذا اليوم يحمد سراه وينقلب إلى أهله مسروراً ، وأما الخامل الكسلان السادر في لهوه وعبه فهو يتحرّق نداماً ويدعو ثبوراً . إنه ظن أن يبقى ربيب النعمة في كنف والديه ، وأن ما يطلبه يجده بين يديه . وما يدرى المسكين أن الزمن يطوّح به في التيه ، فلا يجد من حوله وليّاً مرشداً ، ولا وصيّاً منعباً فليقدّر اليوم كل منكم خطوه ليعرف موقع قدميه ، وليقيم حصيلته ليتبين مبلغ ما بين يديه .

ونحمد الله تعالى أن رأينا من أغلبكم ما يثلج الصدر ويقرّ العين ، ويوسّع الآمال ، وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرها وأنتم - أيها الأولياء الكرام - كيف تستقبلون أولادكم وقد إنتهت إليكم مقاليد أمورهم ، وأسلمت إليكم المؤسسات التربوية أزمة قيادهم ؟ فهل تحسنون مواصلة الإشراف والرعاية ، وتحافظون على ما إدخروه من زاد العلم والمعرفة والدراية ؟ أم أنتم عنهم مشغولون ، وفي زحمة الحياة ومفاتها لا هون ؟ حتى إذا إحتوشتهم الضلالات وناوشتهم الإنحرافات ، وتصيّدتم السفهاء في كل مسلك وسبيل إذا أنتم لسوء حالهم ناقمون ، وفي تقويم إعوجاجهم حائرون . فإن العاقل منكم من يحتاط لفواجع الدهر قبل أن تفاجئه في عقر داره ، والحازم من لا يغفل عن حماه في ليله ونهاره ، وكم من هفوة جرّت عتاباً وملامة ، وكم من غفلة أعقبت ندامة !

فإننا نربأ بكم أن تكونوا من الساهين اللاهين ، فإن الدهر جادّ ، ومفاجاته لكم بالمرصاد . وأنتم تلاحظون كيف أصبحت الواجبات أكثر من الأوقات . فكونوا حكماً في الإستفادة من كل أوقاتكم ، وأستغلّوا خبرتكم في تصنيف الأولويات ،

فإن التربية العملية لديننا الحنيف في تعويدنا على الإنضباط والنظام لم تدع لنا مجالا لسوء التقليد ، ولا نطلب من غيرها أيّ مزيد ، سدّد الله خطانا إلى ما فيه صلاح ديننا ودينانا ، ورضي عنا ربنا في الحال والمآل ، ووفقنا إلى خير الأعمال .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي سخّر للمكرمات رجالا ، وقبّض لدينه من يحمل الأمانات الثقالا . نحمده حق حمده ، ونستغفره ونستعين به ، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهّد الله فهو المهتدي ، ومن يضلّ فلن تجد له وليا مرشدا . نشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . وبعد : فيأمة الإسلام : هل يليق بنا - ونحن نستعرض الحصلة السنوية لنتائج أبنائنا - أن ننسى أولئك الجنود المجهولين الذين لم يشتهم برد ولا زمهرير ولم تغوهم حظوظ الدنيا في قليل ولا كثير ، أن يتخلوا عن واجبهم التربوي ، أو أن يقصّروا في مهمتهم النبيلة وهم يؤدونها في أقسى الظروف وأصعب الأحوال يواصلون كل النهار بسهر الليل تحضيرا وتصحيحا وتقينا لأعمال طلابهم ، ثم لا يرجون من وراء ذلك جزاء ولا شكورا ، بل هم يتعرضون أحيانا للتهجّم والنكير ، أو للتهديد والوعيد ، ولا يبالون أن يمدح الناس أو يقدحوا ، لأن أقصى أمانهم أن يروا ثمة أعمالهم في رجال أعدوهم لتحمل المسؤوليات ، وجنود يحملون مشعل العلم ويبعدون الظلمات .

فهؤلاء وحدهم هم بحق قادة الشعوب ورؤاد العز والمجد في حياة الأمم . فطوبى لأمة عرفت قدرهم وبوأتهم المكانة اللائقة بهم ، وحببتهم من عطفها وحنانها ما يستكثر من سوادهم ويبقيهم على العهد ، فلا يدون أعينهم إلى ما فتن به رفاقهم من متاع الدنيا وزينتها ، لأنهم في الحقيقة مصدر تلك الثروات ، وصانعو الخطوة والجاه لمن ابتسمت لهم الحياة .

فيأياها المعلمون المربّون . إني لأعذرکم إن عانيتم بعض الصدود والجفاء ،
وشكوتهم في الأولياء التسيّب والإهمال ، فإني قد أصبت من ذلك الحظ الأوفى .
فلم يشنني عبّ الحمل أن أواصل المسيرة إلى نهايتها ، ولم يفلّ من عزيمتي نصب
ولا لغوب ، ولم يفتّ في عضدي جحود ولا صدود ، لأنني وجدت الطمأنينة
والرضى في حسن القيام بالواجب ، وأحسست براحة الضمير وصفاء النفس حين
طرحت وجود الناس في ما بيني وبين الخالق العظيم ، وتيقنت أنه من يتق الله
يجعل له مخرجا ويرزقه من لا يحتسب . ولا إخالكم - أيها الرفاق - إلا كذلك .
فلا تحيسوا بالعهد ولا تتعجلوا قطف الثمرة ، فإن للجني والحصاد أوانه ، ولكل
سباق ميدانه ورهانه .

وهل لنا من هدية نقدّمها إليكم أفضل من دعاء صالح أن يرعاكم الله في
مسيرتكم النبيلة ، وأن يعيذكم من وعشاء السير وسوء المنقلب . وأن يزودكم بالمدد
الروحاني ، تغالبون به مثبّطات العزائم ، ومخربّات الذمم والنفوس ، وأن يريكم
من أولادكم وطلابكم ماتقرّ به أعينكم . ففي ذلك خير جائزة تستلمونها من يد
العزيز الوهاب ، وفوق ذلك لكم منه خير العقبى وحسن المآب . ربنا هب لنا
من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين واجعلنا للمتقين إماما ، ربّ أوزعني أن أشكر
نعمتك التي أنعمت علي وعلى والديّ ، وأن أعمل صالحا ترضاه ، وأصلح لي في
ذريتي ، إني تبت إليك وإني من المسلمين ، وآخر دعوانا إن الحمد لله رب
العالمين .

الخاتمة

لقد تمت - بفضل الله - الحلقة الثانية من « صوت المنبر » في أربعة وعشرين خطبة ، وهي تكمل الخمسين خطبة مع الحلقة الأولى . أرجو أن تكون مرضية لذوقك - أيها القارئ الكريم - في مواضيعها وصياغتها ، وهي تعالج مختلف القضايا التي تهّم الفرد أو المجتمع في الحياة اليومية . وذلك بتجسيد الواقع المعيش كما فرضته الظروف الداخلية أو الخارجية ، وبيان ما تسرب إليه من بعض العادات التي لا تتلاءم مع حضارتنا وأصالتنا ثم محاولة عرضها على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة السلف الصالح من هذه الأمة الخيرة ، وبذلك نضع أيدينا على الخلل ونسعي لصلاحه في حكمة وأناة دون تجريح ولا تشهير ، ودون صخب ولا تهريج .

وقد لمسنا - بحمد الله - الأثر الطيب لهذا الأسلوب الحكيم في نفوس الجماهير ، وهي تتجاوب مع « صوت المنبر » في كل صلاة ، وتحاول أن تصلح من نفسها ومن وضعيتها الاجتماعية ما أفسدته التراكات الدخيلة أو شوّهته السلوكات النابية . ونحن نعالج كثيرا من القضايا الحساسة لا تستفزنا مواقف المتعنتين المتحجرين ، كما لا تستخفننا طفرات المتحمسين المتطرفين ، بل نترقق في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ممثلين لقول رسول الله ﷺ لأصحابه « إنما بعثتم مبشرين لا منفرين » . وقوله « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى »

وإذا تحقق النصح الأمين الرزين من الداعية ، وتوفر حسن الإنصات وقابلية الإلتصاح من المدعوين ، فإن الموعظة تفعل فعلها السحري في النفوس ، وتأخذ بمجامع القلوب ، فإذا بالهداية الربانية تشع أنوارها في كيان المؤمن ، فتتجسد على سلوكه إستجابة وطاعة . وتتأصل في وجدانه رضى وقناعة .

والله أسأل أن ينفع بهذا المجهود المتواضع كل العاملين في المجال الدعوي والإرشادي ، وأن يوفقهم إلى إعلاء كلمة الله ، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله والحمد لله رب العالمين .

العطف يوم 15 صفر 1417 01 جويلية 1996

المؤلف - محمد إبراهيم سعيد كعباش -



عناوين الخطب

صفحة

الإهداء

5	المؤلف في سطور
6	مقدمة الحلقة الثانية
7	الطفل بين البيت والمدرسة
13	القصد في الغنى والفقر
19	الإخلاص في السرّ والعلانية
25	العدل في الرضى والغضب
30	إدفع بالتي هي أحسن
36	ولاتقف ما ليس لك به علم
41	حرمة موتانا كحرمة أحيائنا
46	القرآن ومسؤولية الأمانة
51	شهر له شرفه وأسراره
56	ما أسعد يوم الجائزة
61	من البطن نكبة الإنسانية
66	القرآن وحرب الإشاعة
71	إنما يتذكر أولو الألباب
75	الإنسان والعصر
80	الأمة الإسلامية في القرآن الكريم
86	عندما تنزل بركات السماء
91	القرآن والسكن النفسي للإنسان
97	القرآن والنساء (1)
102	القرآن والنساء (2)
108	القرآن والرسول نور على نور
113	كان القرآن خلق رسول الله
120	أمنّ يجيب المضطر إذا دعاه
124	في اليوم العالمي للمعوقين (فاتح ديسمبر)
129	في نهاية الموسم الدراسي 1996/95
133	الخاتمة



إن أمتنا المسلمة هي إبنة المنبر منذ كانت . صاغها يوم كان يرتقيه محمد ﷺ . لقد كان منبراً وحيداً ومع ذلك استطاع أن يربي جيلاً من البشر حملوا الرسالة إلى الآفاق ، وأقاموا الدين والدولة معاً .

فكان أثر المنبر الواحد أعظم من تأثير مئات الألوف من المنابر ومئات الجامعات وآلاف المدارس والمعاهد . فهذه المنابر كلها ليست من ذلك المنبر بسبب . لو أننا سبرنا غور هذه المأساة ، فسنجد أنه راجع إلى تعدد نوعيات المنابر الحديثة وتفرق دعائها . لقد كان المنبر على عهد الرسول واحداً ، يصدر بأمر واحد ويخاطب أمة واحدة كما أراد الله .